بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد القهار الذي لا يدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، خلق الليل والنهار ، والأنهار والبحار ، تذكرة لمن يريد الاعتبار ، والصلاة والسلام على سيد الأتقياء ، وأصفى الأصفياء محمد خاتم الرسل والأنبياء وعلى آله المصطفين الأخيار ، وصحبه المهاجرين والأنصار ومن تبعهم إلى يوم يقوم فيه الأبرار أما بعد ،

فإن من أوجب الواجبات على كل من يقوم على دوام الحرص على النهج الذي أرسل به رسولنا رحمة للعالمين وكافة للناس الإعتناء بتعلم سيرته العطرة التي لم تزل محفوظة من التحريف والتبديل والتغيير إلى يوم تشخص فيه القلوب والأبصار لأنه يستطيع بتعلمه الهداية إلى الصراط المستقيم والخروج من ظلمة الضلالة إلى نور الهداية التي لا يقابلها فضل ولا شرف في أي زمن من الأزمان .

ويكون تعلم السيرة النبوية من نواح عديدة كما يلي :

- ❖ من ناحية أخلاقه وشمائله التي تمثل فيها عديم النظير ومنقطع الشبيه .
- ❖ ومن ناحية غزواته التي كانت خير عون على انتصار الشريعة السمحة التي أروت القلوب والأبصار .
- ❖ ومن ناحية أساليب دعوته التي كانت لنا أسوة حسنة وقدوة جميلة حتى كانت وسيلة قوية إلى دخول الناس في دين الله أفواجا ، وما واجه فيها من المشاكل والمصائب .
- ❖ ومن ناحية معجزاته وإرهاصاته التي أيدت نبوته وأكدت رسالته .
- ❖ ومن ناحية خصائصه التي اختص بها عن جميع أمته والتي انفرد بها عن جميع الأنبياء والرسل .

هذا وقد تناول العلماء قديما وحديثا سيرة محمد صلى الله عليه وسلم بعدة نواح من جهة التأليف. فمنهم من أفرد الغزوات كالواقدي وابن إسحاق ، ومنهم من أفرد شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من أفرد خصائص النبي صلى الله عليه وسلم

ولكن طلوع الفكرة للبحث عن خصائص الرسول الذي أرسل رحمة للعالمين في سويداء البال منذ أوان بعيد رغم كوني غير أهل لهذا العمل دفعني إلى القيام بجمع المعلومات المفيدة تحت هذا العنوان على قدر الإمكان حتى قمت بجمعها باذلا كل الجهود مستعينا بالله العلي القدير ..

وعلاوة على ما سبق هناك دوافع أخر أدت بي إلى القيام بهذا العمل . نلخصها فيما يلي :

- ❖ تجاهل كثير من الناس عن خصائص النبي الأمي الذي بعث خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامته عليهم أجمعين .
- ❖ عدم شعور كثير منا بأهمية هذا الموضوع .
- ❖ عرض المسائل المتفق عليها والمختلف فيها على قدر الإستطاعة .

وأيضا : فإني أشكر الله تعالى على أن وقفني لأتعلم هذا الدين على يد عباقرة من العلماء أساتذتي الكرام الذين لهم يد طولى في وصولي إلى هذا المقام ثم أخص بشكري الخالص مدير كليتنا الأستاذ **الشيخ دين الحسن بن وهاب الدين (البهجي)** الذي علمنا منهج البحث وكيفيته ثم أقدم شكري للأستاذ الكريم المشرف على هذا البحث **محمد رفاق بن طاسم (العباسي)** الذي بذل أوقاته النفيسة في تصحيح هذا البحث. وكذلك أشكر جميع من ساعدني على إخراج هذا البحث على هذا الوجه الجميل من زملائي وإخواني الطلاب.

ثم أقدم بأطيب شكري إلى والدي الكريمين الذين ربياني أحسن تربية فرب ارحمهما كما ربياني صغيرا.

وأخيرا : لا أدعي لنفسي عصمة من الخطأ فما فيه من الصواب فهو من الله ، وما فيه من الخطأ والزلة فمني ومن الشيطان.

كتبه

الطالب الراجي رحمة ربه

أبرار الله شاه جهان

٠٧ – ١٠ -٢٠١٥

خطة البحث

- ❖ **الباب الأول : خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم.**
  - ✓ **الفصل الأول : معنى خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم.**
  - ✓ **الفصل الثاني : معنى الرسول لغة وشرعا.**
  - ✓ **الفصل الثالث : نبذة عن خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم.**
  - ✓ **الفصل الرابع : بم يثبت ما يختص به النبي صلى الله عليه وسلم وهل هناك مايختص به أم لا ؟**
- ❖ **الباب الثاني : الـعـبـادات**
  - ✓ **الفصل الأول : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ما وراءه.**
  - ✓ **الفصل الثاني : وجوب صلاة الليل :**
  - ✓ **الفصل الثالث : تطوع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قاعدا كتطوعه قائما.**
  - ✓ **الفصل الرابع : إختصاص أمته صلى الله عليه وسلم بيوم الجمعة.**
  - ✓ **الفصل الخامس : السواك في حق النبي صلى الله عليه وسلم واجب.**
  - ✓ **الفصل السادس: اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالوصال في الصوم دون غيره من أفراد أمته.**
  - ✓ **الفصل السابع : إختصاصه صلى الله عليه وسلم بتحريم الزكاة عليه وعلى آله.**
- ❖ **الباب الثالث : النبوة ، وفيه أربعة فصول :-**
  - ✓ **الفصل الأول : ختم النبوة.**
  - ✓ **الفصل الثاني : أخذ الله له العهد والميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه.**
  - ✓ **الفصل الثالث : الرسالة العامة**
  - ✓ **الفصل الرابع : حماية كتابه من التحريف والتبديل وجعله من المعجزات**
- ❖ **الباب الرابع :المناكحات ، وفيه خمسة فصول**
  - ✓ **الفصل الأول :النكاح بلفظ الهبة.**
  - ✓ **الفصل الثاني :تحريم نكاح أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.**

- ✓ **الفصل الثالث :إباحة الزواج من غير ولي ولا شهود.**
- ✓ **الفصل الرابع :إباحة الزواج بأكثر من أربع نسوة.**
- ✓ **الفصل الخامس :أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين.**

❖ **الباب الخامس: الخصوصيات المتعلقة بشرف النبي صلى الله عليه وسلم.**

- ✓ **الفصل الأول:الشرف المتعلقة لليوم القيامة.**
  - ➢ **المبحث الأول: الشفاعة يوم القيامة.**
  - ➢ **المبحث الثاني: أول من يجتاز الصراط ويدخل الجنة.**
  - ➢ **المبحث الثالث : حوض الكوثر**
  - ➢ **المبحث الرابع : فضله الله تعالى بدرجة الوسيلة والفضيلة يوم القيامة.**
  - ➢ **المبحث الخامس : اختص بأنه صلى الله عليه وسلم أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة.**
  - ➢ **المبحث السادس : أول من يقرع باب الجنة**
  - ➢ **المبحث السابع : اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتقديم أمته في الحساب يوم القيامة على الرغم من أنهم آخر الأمم**
- ✓ **الفصل الثاني : الشرف المتعلق بالدنيا**
  - ➢ **المبحث الأول : وجوب محبته وأهل بيته**
  - ➢ **المبحث الثاني : تحريم التكني بكنيته ولم يثبت ذلك لأحد من الأنبياء**
  - ➢ **المبحث الثالث : اختصاص أمته بأنهم شهداء في الأرض**
  - ➢ **المبحث الرابع : اختصاص أمته بالغرو والتحجل من أثر الوضوء**
  - ➢ **المبحث الخامس : دخول مكة بلا إحرام وإباحة القتال فيها**
  - ➢ **المبحث السادس : ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه أعطاه الله قوة ثلاثين رجلا**
  - ➢ **المبحث السابع : جوامع الكلم**

خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم

الباب الأول : خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم.

الفصل الأول : معنى خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم.

والخصوصية – كما أشار صاحب المعجم الوسيط – بمعنى الخاصية الذي هو نسبة إلى الخاصة والخاصة ضد العامة والذي تخصه لنفسك وخاصة الشيء ما يختص به دون غيره[١] ،

وأشار صاحب لسان العرب إلى أن الخصوصية يجوز الضم والفتح للخاء مأخوذ من خصه بالشيء يخصه خصا[٢].

وأشار صاحب مختار الصحاح إلى أن الخصوصية بضم الخاء وفتحها والفتح أفصح ، مصدر خصه بالشيء خصوصا وخصوصية[٣] .

[١]. معجم الوسيط (ص ٢٣٨) .
[٢]. لسان العرب (جـ ٢ ، ص ٢٧) .
[٣]. مختار الصحاح (ص ١٧٨) .

الفصل الثاني : معنى الرسول لغة وشرعا.

والرسول لغة : فعُول بمعنى الاسم المفعول مأخوذ من أرسله . فالرسول والمرسل بمعنى واحد ، والجمع بمعنى رُسْل ، ورُسُلٌ .

والرسول أيضا الرسالة ، وقوله تعالى : " إنّا رسول رب العالمين " ولم يقل رسولا رب العالمين . لأن " فعولا " " وفعيلا " يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثل عدو وصديق[١].

وأشار صاحب لسان العرب فأنث الرسول حيث كان بمعنى الرسالة ومنه قوله تعالى : " إنّا رسول رب العالمين " ولم يقل رسل لأن " فعولا " ، " وفعيلا " يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثل عدو وصديق كما قال صاحب مختار الصحاح[٢].

وفي القاموس أيضا الرسول : المرسل للمذكر والمؤنث والواحد والجمع ، ويجمع أيضا على رسل وأرسل[٣]

والرسول شرعا : والرسول إنسان من البشر أوحى الله إليه بالشرع وأمر بتبليغه . بينما أن النبي إنسان من البشر أوحى الله إليه بشرع لكنه لم يكلف بالتبليغ ، فالرسول هو أعلى مرتبة من النبيين ، لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا . وعدد الأنبياء لا يحصى بينما أن عدد الرسل قلة[٤].

وأشار صاحب " معجم لغة الفقهاء " الرسول : إنسان أوحى الله تعالى إليه بشريعة وآمره بتبليغها للناس[٥].

---

١. مختار الصحاح (ص ٢٤٢) .
٢. لسان العرب (ص ٣٣٩) .
٣. القاموس (ص ٣٤٤) .
٤. النبوة والأنبياء (ص ١١) .
٥. معجم لغة الفقهاء (ص ١٩٨) .

الفصل الثالث : نبذة عن خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم .

لا ريب أن بعثة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم الذي لكون البشرية بسرها تروي بتعليماته العالية وتصرفاته السامية . لتحصل بذلك على هدى ترشد إلى سعاداتها الدنيوية والأخروية جميعا وكانت في زمن قد تدفقت فيه العصبية وتناثرت فيه آلاف رذائل الأخلاق حيث توجهت إلى طريقة لا يعرف منتهاها حتى أرسل الله نبيه رحمة لها ليهتدي به من ضل وبستنير به من زل ويصلح به من طلح بخصائص تصدق رسالته وتثبت عدالته التي تميز بها عن أمته التي هي آخر أمة كان صلى الله عليه وسلم بها رؤوفا . وعلى عنتها عزيزا ، وعلى هدايتها حريصا بينما أنه صلى الله عليه وسلم كان متميزا عن سائر الرسل عليهم السلام بخصائص منحها من عند ربها العظيم . علما بأن هذه الخصائص التي كانت الأعداء أمامها مفهمين عندها ، ليست عن بكرة أبيها هي التي كانت رسالته معتمدة عليها بل إنما هي نعمة من عند الله ، أفرده الله بها من دون أمته وسائر رسله ، إضافة إلى أنها لم تكن عبثا بل كانت لأغراض قيمة ، وأغراض نيرة قد صعب على عقول الناس المعاندة فهمها حتى يصير أمامها طاعنا بها دون تعميق النظر فيها . رغم أنها بعد تدقيق النظر فيها إنما هي مصالح غير معدودة بالأنامل جعل الله فيها فرجا عظيما لما هو عليم به .

الفصل الرابع : بم يثبت ما يختص به النبي صلى الله عليه وسلم وهل هناك مايختص به أم لا ؟

غير غائب عنا أن الله تعالى جعل خصائص يتميز بها الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته عن سائر الرسل عليهم السلام وأممهم حيث إنها بعد إسترعاء النظر فيها أمور ، فيها عبرة عظيمة لمن يكون في رغبة في الإعتبار بحياة سيد البشر صلى الله عليه وسلم الذي جاء من عند الله برسالة تتدفق إليها الإنسانية جمعاء لتنال بها مأفق لها من أشغالها التي تلتفت أنظارها في الإعترار بلذة هذه الدنيا الفانية ، دون التفكر في خالفها الذي له مقاليد السموات والأرض ، إضافة إلى أن تلك الخصائص لا تثبت إلا بثبوت دليل صحيح صريح من القرآن الكربم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، على الخصوصية أو من السنة المطهرة التي مازالت مدونت محفوظة إلى يوم القيامة بإذن الله تعالى لدرخة أن إيمان العبد ليتوقف على التصديق بالذي بدليل صحيح صريح مع أننا أشرنا (بفضل الله علينا) إلى أمور إختصاص بها النبي صلى الله عليه وسلم من الخصائص التي اختص بها عن جميع الأنبياء ولم يؤتها نبي قبله ، والخصائص التي اختص بها في ذاته في الدنيا والآخرة ، والتي اختص بها في أمته في الدنيا والآخرة ، والخصائص التي اختص بها عن أمته وغير ذلك كما أومأ إيماء واضحا في العبادات التالية .

الباب الثاني : الـعـبـادات

الفصل الأول : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ما وراءه .

اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالرؤية من خلفه كما يرى أمامه ، وهذه الأحاديث التالية خير شاهد على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ما وراءه .

- ✓ عن عبد الله بن يوسف قال : أخبرمنا مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " هل ترون قبلي هاهنا ؟ فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم إني لأراكم من وراء ظهري "[١].

قوله (هل ترون قبلي) هو استفهام إنكار لما يلزم منه ، أي أنتم تنظنون لا أرى فعلكم لكون قبلتي في هذه الجهة لأن من استقبل شيئا استدبر ما ورائه ، لكن بين النبي صلى الله عليه وسلم أن رؤيته لا تختص بجهة واحدة . وقد اختلف في معنى ذلك فقيل : المراد بها العلم إما بأن يوحي إليه كيفية فعلهم وإما أن يلهم ، وفيه نظر ، لأن العلم لو كان مرادا لم يقيده بقوله من وراء ظهري ، وقيل المراد إنه يرى من عن يمينه ومن عن يساره ممن تدركه عينه مع التفات يسير في النادر ، ويوصف من هو هناك بأنه وراء ظهري ، وهذا ظاهر التكلف وفيه عدول عن الظاهر بلا موجب ، والصواب المختار أنه محمول على ظاهره .

وأن هذا الإبصار إدراك حقيقي خاص به صلى الله عليه وسلم الخرقت له فيه العادة ، وعلى هذا عمل الإدراك يجوز أن يكون برؤية عينه الخرقت له العادة فيه أيضا فكان يرى بها من غير مقابلة ، لأن الحق عند أهل السنة أن الرؤية لا يشترط لما عقلا عضو مخصوص ولا مقابلة ولا قرب ، وإنما تلك أمور عادية يجوز حصول الإدراك مع عدمها عقلا ، ولذلك حكموا بجواز رؤية الله تعالى في الدار الآخرة خلافا لأهل البدع لوقوفهم مع العادة .

وقيل كانت له عين خلف ظهره يرى بها من وراءه دائما . وقيل كان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط يبصر بها لا يحجبهما ثواب ولا غيره . وقيل : بل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع في المرآة فيرى أمثلتهم فيها فيشاهد أفعالهم[٢].

قوله (على خشوعكم) أي في جميع الأركان ، ويحتمل أن يريد بها السجود لأن فيه غاية الخشوع ، وقد صح بالسجود في رواية لمسلم قوله (إني لأراكم) بفتح الهمزة .

---

[١]. صحيح البخاري ، رقم الحديث (٤١٨) .
[٢]. فتح الباري (ص ٦٤١) للإمام ابن حجر العسقلاني ,

- ✓ يحيى بن صالح قال : حدثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي ، عن أنس بن مالك قال : صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم صلاة ، ثم رقي المنبر ، فقال في الصلاة وفي الركوع " إني لأراكم من ورائي كما أراكم "[١].

قوله (صلى بنا) أي لأجلنا وقوله (صلاة) بالتفكير للإبهام ، وقوله (ثم رقى) بكسر القاف .

قوله (فقال في الصلاة) أي في شأن الصلاة ، أو هو متعلق بقوله بعد (إني لأراكم) عند من يجيز تقدم الظرف ، وقوله (وفي الركوع) أفرده باذكر وإن كان داخلا في الصلاة اهتماما به إما لكون التقصير فيه أكثر ، أو لأنه أعظم الأركان بدليل أن المسوق يدرك الركعة بتمامها بإدراك الركوع .

قوله (كما أراكم) يعني من أمامي . وصح به في رواية أخرى كما سيأتي ،

ولمسلم " إني لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي " وفيه دليل على المختار أن المراد بالرؤية الإبصار ، وظاهر الحديث أن ذلك يختص بحالة الصلاة ، ويحتمل أن يكون ذلك واقعا في جميع أحواله ، وقد نقل ذلك عن مجاهد ، وحكى بقي بن مخلد أنه صلى الله عليه وسلم كان يبصر في الظلمة كما يبصر في الضوء . وفي الحديث الحث على الخشوع في الصلاة والمحافظة على إتمام أركانها وأبعاضها ، وأنه ينبغي للإمام أن ينبه الناس على ما يتعلق بأحوال الصلاة ، ولا سيما إن رأى منهم ما يخالف الأولى[٢].

يقول صاحب كتاب " عمدة القاري " في شرح هذين الحديثين :

- ➢ الحديث الأول : قوله (هل ترون قبلتي) استفهام على سبيل إنكار ما يلزمه منه ، المعنى : أنتم تحسبون قبلتي ههنا ، وإنني لأرى لي ما في هذه الجهة ، فوالله إن رؤيتي لا تختص بجهة قبلتي هذه ، فإني أرى من خلفي كما أرى من جهة قبلتي ، ثم العلماء هاهنا في موضعين :

الأول :

في معنى هذه الرؤية ، فقال قوم : المراد بها العلم إما بطريق أنه كان يوحى إليه ببيان كيفية فعلهم ، وإما بطريق الإلهام ، وهذا ليس بشيء ، لأنه لو كان ذلك بطريق العلم ما كانت فائدة في التقييد بقوله " من وراء ظهري " وقال قوم : المراد به أنه يرى من عن يمينه ومن عن يساره ، ممن تدركه عينه مع التفات يسير في بعض الأحوال وهذا أيضا ليس بشيء ، وهو ظاهر ، وقال الجمهور وهو الصواب : إنه من خصائصه عليه الصلاة والسلام ، وإن إبصاره إدراك الحقيقي انخرقت له فيه العادة ، ولهذا أخرج البخاري هذا الحديث في علامات النبوة .

---

[١]. صحيح البخاري ، رقم الحديث (٤١٩) .
[٢]. فتح الباري (ص ٦٤٨) للإمام ابن حجر العسقلاني ,

الثاني :

اختلفوا في كيفية رؤية النبي عليه الصلاة والسلام من خلف ظهره فقيل : كانت له عين خلف ظهره يرى بها من ورائه دائما ، وقيل : كانت له بين كتفيه عينان مثل سم الخياط - يعني : مثل خرق الإبرة ليبصر بها لا يحجبهما ثواب ولا غيره ، وقيل : بل كانت صوابهم تنطبع في حائط قبلته كما تتطبع في المرآة أمثلتهم فيها ، فيشاهد بذلك أفعالهم ،

قوله (لا يخفى على ركوعكم ولا خشوعكم) يعني : إذا كان في الصلاة مستدبرا لكم ، ويجوز أن يكون المراد من الخشوع السجود لأنه غاية الخشوع ، وقد صرح في رواية مسلم بالسجود ، ويجوز أن يراد به أعلم من ذلك ، فيتنال جميع أفعالهم في صلاتهم ، وإن قلت : إذا كان الخشوع بمعنى الأعم يتناول الركوع أيضا ، فما فائدة ذكره ؟ قلت : لكونه أكبر عمد الصلاة ، وذلك لأن الرجل ما دام في القيام لا يتحقق أنه في الصلاة ، فإذا ركع تحقق أنه في الصلاة ، ويكون فيه عطف العام على الخاص ، قوله (فوالله) قسم منه صلى الله عليه وسلم وجواب ، قوله (لا يخفى) وقوله (إني لأراكم) إما ببيان وإما إبدال ، قوله (ركوعكم) بالرفع فاعل (لا يخفى) قوله (ولا خشوعكم) عطف عليه : أي لا يخفى على خشوعكم ، والهمزة في لأراكم مفتوحة وذالك للتأكيد .

أنه ينبغي للإمام إذا رأى أحدا مقصرا في شيء من أمور دينه أو ناقصا للكمال منه أن ينهاه عن فعله ويحضه على ما فيه جزيل الحظ ، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم كيف وبخ من نقص كمال الركوع السجود ، ووعظهم في ذلك بأنهم يراهم من وراء ظهره كما يراهم من بين يديه ، وفي تفسير سيد : حدثنا حجاج عن بن أبي ذئب ، حدثنا يحيى بن صالح حدثنا فليح عن هلال بن علي عن أنس قال : " صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة ، ثم رقى المنبر فقال : في الصلاة وفي الركوع إني لأراكم من ورائي كما أراكم " وفي لفظ : " أقيمت الصلاة فأقبل علينا بوجهه فقال : أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري " وفي لفظ :" أقيموا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم من بعدي إذا ركعتم وإذا سجدتم " وعند مسلم : " صلى بنا ذات يوم ، فلما قضى صلاته أقبل علينا بوجهه ، فقال : أيها الناس : إني أمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالإنصراف فإني أراكم أمامي ومن خلفي ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده ، لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟ قال رأيت ؛ الجنة والنار "[1].

- الحديث الثاني : قوله (صلى بنا) أي صلى لأجلنا ، قوله (صلاة) بالتكبير للإبهام ، قوله (ثم رقى المنبر) بكسر القاف ويجوز فتحها على لغة طيء ، قوله (فقال في الصلاة) فيه حذف التقديره : فقال في شأن الصلاة وفي أمرها ، أو يكون متعلقها محذوفا تقديره : أراكم في

[1]. عمدة القاري (جـ ٣ ، صـ ٤٠٤) .

الصلاة، وقال بعضهم : وهو متعلق بقوله بعد : لأراكم ، قلت : هذا غلط ، لأن ما في حيز أن لا يتقدم عليها قوله :

"وفي الركوع" إنما أفرده بالذكر وإن كان داخلا في الصلاة للإهتمام بشأنه إما لأنه أعظم أركانها بدليل أن المسبوق لو أدرك الركوع أدرك تلك الركعة بتمامها ، وإما لأنه صلى الله عليه وسلم علم أنهم قصروا في حالة الركوع ، فذكره لزيادة التنبيه قوله : "من ورائي" وفي بعض الروايات "من وراء" حذفت الياء منه واكتفى بالكسرة عنها ، وقال الكرماني : فإن قلت : الرواية من الورائي كانت مخصوصة بحالة الصلاة أم هي عامة لجميع الأحوال ؟ قلت : اللفظ سيما في الحديث السابق ، يقتضي العموم ، والسياق يقتضي الخصوص . قلت : نقل عن مجاهد أنه كان في جميع أحواله . قوله (كما أراكم) أي كما أراكم من أمامي ، وصرح به في رواية أخرى وفي رواية مسلم : " إني لأبصر من ورائي كما أبصر من بيني يدي " وعن بقي بن مخلد أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يبصر في الظلمة كما يبصر في الضوء والكاف في كما أراكم للتشبيه فالمشبه به الرؤية المقيدة بالوراء وبقية الكلام مرت في الحديث السابق[١]

- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الْوَلِيدِ يَعْنِي ابْنَ كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، أَلَا تُحْسِنُ صَلَاتَكَ؟ أَلَا يَنْظُرُ الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّي؟ فَإِنَّمَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ، إِنِّي وَاللهِ لَأُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ»[٢]
- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَا هُنَا؟ فَوَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ رُكُوعُكُمْ، وَلَا سُجُودُكُمْ إِنِّي لَأَرَاكُمْ وَرَاءَ ظَهْرِي»[٣]

يقول صاحب " إكمال المعلم بفوائد المسلم " في هذين الحديثين الشريفين : إن قوله " ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكمإني لأراءكم من وراء ظهري " وقوله : " إني لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي ".

قال الإمام : قال بعض المتكلمين : يمكن أن يكون الباري تعالى خلق له إدراكا في قفاه أبصر به من ورائه ، فقد انخرت العادة له صلى الله عليه وسلم بأكثر من هذا فلا يستفكر هذا ، وإنما تنكر هذه المعتزلة ، لأنها تشترط في خاق الإدراك بينه مخصوصة ،

---

[١] .عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ١٥٨)
[٢] صحيح مسلم (١/ ٣١٩)
[٣] صحيح مسلم (١/ ٣١٩)

قال القاضي : اشتراط هذا من المتكلمين أن يكون الإدراك في قفاه ارتباطا بذلك المذهب الإعتزالي الذي أنكره ، لأن في ضمنه المقابلة للمرئي ونحن لا نشترطه ، وقد قالت عائشة في هذا " زيادة زادها الله إياها في محبته "

وقال بقي ابن مخلد : كان صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرون في الضوء ، وذهب أحمد بن حنبل وجمهور العلماء : أن هذه رؤية عين حقيقية ، قال بعضهم : خاصية له صلى الله عليه وسلم وذهب بعضهم بردها إلى العلم ، وتظاهر الظواهر بخلافه ولا يحيله عقل على مذاهب أهل الحق في الرؤية .

وقال الداودي : قوله "أراكم " أي أخبركم أو أقتدي بما أرى على ما وراء ظهري

قال وقوله في الرؤية الأخرى : " من بعدي " يحتمل أن يريد من بعد وفاته ، وهذا بعيد من سياق الحديث وقد قال بعضهم : معناه أنه كان يلتفت التفاتا يسيرا لا يلوي ففيه عنقه ، وهذا قد أنكره أحمد بن حنبل على قائله ، ولا يحتاج إلى هذا كله مع ما قد مناه في خواصه وآياته صلى الله عليه وسلم ولا يعطيه ظاهر اللفظ وقد قيل : معنى هذا في قوله تعالى " وتقلبك في الساجدين "

قال مجاهد : كلن صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما يرى من بين يديه

الفصل الثاني : وجوب صلاة الليل :

اختصاصه صلى الله عليه وسلم بوجوب صلاة الليل ثابت بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة . ويدل عليه ما يلي :-

الآيات القرآنية :

ودليله قول الله تعالى : "ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا"[١]

وقوله تعالى "ومن الليل فتهجد به نافلة لك" أمره بقيام الليل بعد المكتوبة ، كما ورد في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال صلاة الليل" ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبة بقيام الليل، فإن التهجد ما كان بعد نوم. قاله علقمة والأسود وإبراهيم النخعي وغير واحد ، وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتهجد بعد نومه .

وقال الحسن البصري :"هو ما كان بعد العشاء ويحمل على ما كان بعد النوم"، واختلف في معنى قوله تعالى "{نافلة لك} فقيل معناه أنك مخصوص بوجوب ذالك وحدك ، وجعلوا قيام الليل واجبا في حقه دون الأمة . وقيل : إنما جعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه فما تأخر وغيره من أمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه .

وقوله {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} أي افعل هذا الذي أمرتك به لتقيمك يوم القيامة مقاما محمودا . يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى . قال ابن جرير رحمه الله : ذالك هو المقام الذي يقومه النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شره ذالك اليوم".

يقول الإمام في تفسيره :

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد ، بالقرآن ، نافلة لك خالصة دون أمتك . والتهجد والتيقظ والسهر بعد نومة من الليل وأما الجهود بنفسه .

لقد تكاثرت آراء العلماء في المراد بقول الله تعالى :

{ ومن الليل فتهجد به نافلة لك }

---

[١]. سورة الإسراء (٧٩)

وخشية من البسط نشير إلى أهمها :

- نقل محمد ابن عبد الرحمن عن علقمة والأسود ، أنهما قالا : التهجد بعد نومة كما نقل هذا التفسير عن عبد الرحمن الأسود أيضا .
- ونقل إبراهيم عن علقمة قال : التهجد بعد نوم .
- ونقل هشام عن الحسن قال : التهجد ما كان بعد العشاء الآخرة .

وأما قوله { نافلة لك }

وأما الذي قالوا إن صلاة الليل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا معنى كونه نافلة له على التخصيص أنها فريضة عليك زائدة على الصلوات الخمس خصصت بها بين أمتك ولكن نصرة هذا القول بأن قوله فتهجد امر وصيغة الأمر للوجوب فوجب كون هذا التهجد واجبا. فلو حملنا قوله (نافلةلك) على عدم الوجوب لزم التعارض وهو خلاف الأصل فوجب أن يكون معنى كونها نافلة له من كون وجوبها زائدة على وجوب الصلوات الخمس.

٣ ـ ودليل آخر من القرآن الكريم على أن صلاة الليل أي التهجد واجبة وخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى في القرآن الكريم (يأيها المزمل .قم الليل إلا قليلا)[١] يقول الإمام صاحب كتاب (المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير)في شرح هذه الآية يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل كما قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) وكذالك كان صلى الله عليه وسلم ممتثلا ما أمر الله تعالى به من قيام الليل وقد كان عليه واجبا وحده كما قال تعالى :(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (وهنا بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى(يأيها المزمل .قم الليل إلا قليلا)

قال ابن عباس والضحاك والسدي "يأيها المزمل" يعني يأيها النائم . وقال قتادة: " المزمل" في ثيابه وقوله تعالى (نصفه) يدل من الليل " او انقص منه قليلا او زد عليه " أي امرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك.

وقوله تعالى :" قم الليل " ففيه مسألتان.

المسألة الأولى : قال ابن عباس : إن قيام الليل كان فريضة على رسول الله لقوله " قم الليل " وظاهر الأمر للوجوب ثم نسخ واختلفوا في سبب النسخ على وجوه

[١] سورة المزمل : ١

أولها :أنه كان فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بها

وثانيها: أنه تعالى لما قال " قم الليل إلا قليلا .نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه " فكان الرجل لا يدري كم صلى وكم بقي من الليل فكان يقوم الليل كله مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب وشق عليهم ذلك حتى ورمت أقدامهم وسوقهم فنسخ الله تعالى ذلك بقوله في آخر هذه السورة " فاقرؤوا ما تيسر منه " وذلك في صدر الإسلام ، ثم قال ابن عباس: وكان بين أول هذا الإيجاب وبين نسخه سنة . وقال في رواية أخرى إن إيجاب هذا كان بمكة ونسخه كان بالمدينة ثم نسخ هذا القدر أيضا بالصلوات الخمس ، والفرق بين هذا القول وبين القول الأول أن في هذا القول نسخ وجوب التهجد بقوله " فاقرؤوا ما تيسر من القرآن " ثم نسخ هذا بإيجاب الصلوات الخمس . وفي القول الأول بإيجاب التهجد بإيجاب الصلوات الخمس ابتداء

وقال بعض العلماء :التهجد ما كان واجبا قط ، والدليل عليه على وجوه

أولها : قوله " ومن الليل فتهجد به نافلة لك " فبين أن التهجد نافلة له لا فرض .وأجاب ابن عباس عنه بأن المعنى زيادة وجوب عليك.

وثانيها : أن التهجد لو كان واجبا على الرسول لوجب على أمته ،لقوله " واتبعوه"٣ وورد النسخ على خلاف الأصل.

وثالثها : استدل بعضهم على عدم الوجوب بأن الله تعالى قال : " نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه " ففوض ذلك إلى رأي المكلف وما كان كذالك لا يكون واجبا ، وهذا ضعيف لأنه لا يبعد في العقل أن يقول : أوجبت عليك قيام الليل وأما تقديره بالقلة والكثرة فذاك مفوض إلى رأيك.
ثم إن القائلين بعدم الوجوب أجابوا عن التمسك بقوله " قم الليل " وقالوا ظاهر الأمر يفيد الندب.
لإن رأينا أوامر الله تعالى تارة تفيد الندب وتارة تفيد الإيجاب .فلا بد من جعلها مفيدة للقدر المشترك بين الصورتين دفعا للإشتراك والمجاز ، وما ذاك إلا ترجيح جانب الفعل على جانب الشرك ، وأما جواز الترك فإنه ثابت لمقتضى الأصل . فلما حصل الرجحان بمقتضى الأمر وحصل جواز الترك بمقتضى الأصل كان ذلك هو المندوب

المسألة الثانية : قرأ ابو السماك " قم الليل " بفتح الميم وغيره بضم الميم ، قال أبو الفتح بن جني : الغرض من هذه الحركة الهرب من التقاء الساكنين ، فأي الحركات تحرك فقد حصل الغرض وحكى عنهم : قم الليل وقل الحق برفع الميم واللام وبع الثوب ثم قال : من كسر فعلى أصل الباب ومن ضم أنفع ومن فتح فقد مال إلى خفة الفتح .

الأحاديث الصحيحة

١. حدثنا أبو نعيم قال :حدثنا مسعر ،عن زياد قال : سمعت المغيرة رضي الله عنه يقول : إن ا كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه ، وأوساقه فيقال له فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا.[١]

٢. حدثنا صدقة بن فضل :أخبرنا ابن عيينة :حدثنا زياد أنه سمع المغيرة يقول :- " قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : أفلا أكون عبدا شكورا[٢]"

٣. حدثنا قتيبة بن سعيد :حدثنا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى حتى انتفخت قدماه فقيل له :أتكلف هذا ؟ وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال : أفلا أكون عبدا شكورا.[٣]

وهذه الأحاديث الصحيحة المتقدمة تدل على أن صلاة الليل أي صلاة التهجد واجبة وخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم دون أمته . وهذه الخصوصية من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم.

تنبيهات

الأول : أن قوله تعالى " نافلة لك " يقتضي أن ذلك غير واجب على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الجوهري : النفل والنافلة عطية التطوع حيث لا يجب ومنه نافلة الصلاة والنفل التطوع. فالجواب : أن النافلة الزيادة ومنه قوله تعالى " ويعقوب نافلة " ولا يلزم منه كونها غير واجبة.
الثاني: حديث جابر الطويل : أنه صلى الله عليه وسلم أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا . ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ، دال على عدم وجوب الوتر والتهجد . لأن الظاهر أنه لم يفعلهما تلك الليلة . وقد يجاب عن التهجد بأنه لعله إذ ذاك كان منسوخا ،أن الجامع بالمزدلفة يأتي بالوتر دون سنة العشاء . والذي نص عليه الشافعي في الأم وغيرها : أن السنة ترك النفل بعد العشاء كما يسن تركه بعد المغرب.

فقال الماوردي : إنه يأتي بسنة المغرب بعد العشاء، ثم سنة العشاء بعد الوتر وهو مصادر للنص.

الثالث: أن الله تعالى فرض من قيام الليل أولا ما ذكر في سورة المزمل ثم نسخه بما في آخرها ثم نسخه بالخمس.

---

[١] صحيح البخاري : ١٢٣٠
[٢] صحيح البخاري : ٤٨٣٦
[٣] صحيح مسلم : ٢٨١٩

ثم استدل الرافعي وغيره أيضا بحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ثلاث هن علي فرائض وهن لكم سنة : الوتر والسواك وقيام الليل".

وهو حديث ضعيف أخرجه البيهقي في سننه وخلافياته وفي سنده موسى بن عبد الرحمن الصنعاني قال بن عدي :منكر الحديث ، وضع على بن جرير عن عطاء ،عن ابن عباس كتابا في التفسير .

قال البيهقي : موسى هذا ضعيف جدا.فلم يثبت في هذا إسناد.

وأن الشافعي نص على أنه نسخ وجوبه في حقه كأمته ، قال الشيخ أبو عمرو بن صلاح : وهذا هو الصحيح الذي تشهد له الأحاديث منها حديث سعد بن هشام عن عائشة في مسلم فقد قال لها : أنبئني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : ألست تقرأ (ياأيها المزمل) فقالت : كان الله فرض قيام الليل من أول هذه السورة فقام علي الصلاة والسلام وأصحابه حولا وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا ، حتى أنزل الله في آخرها التخفيف ، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة.

وفي آخره : فانطلقت إلى ابن عباس رضي الله عنه فحدثته بحديثها فقال : صدقت ،وأشارت رضي الله عنها بالآخر إلى قوله : " علم أن لن تحصوه فتاب عليكم " وبعضهم قال : إن الناسخ قوله تعالى " ومن الليل فتهجد به نافلة لك " وقوله تعالى " علم أن لن تحصوه فتاب عليكم " ناسخ لقيام الليل في حق أمته وفيه نظر ، لأن الخطاب في أول السورة للنبي صلى الله عليه وسلم .وقد شركته فيه فالخطاب في آخرها إذا يتوجه لمن يتوجه إليه الخطاب في أولها.

وقد قيل : إن المنسوخ من صلاة الليل ما كان مقدرا ، وأما أصل الوجوب فهو باق لقوله تعالى " فاقرؤوا ما تيسر منه " فتكون الآية كقوله تعالى " فما استيسر من الهدي " إذ لا بد من الهدي ، فكذلك لا بد عنه من صلاة الليل.

والحديث الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها : " أفلا أكون عبدا شكورا " من جملة ما يدل على عدم وجوبه عليه ، ولا أعلم أحدا قال بوجوبه علينا دونه.

قال الشافعي رحمه الله : سمعت من أوثق بخبر وعلمه يذكر أن الله تعالى أنزل فرضا في الصلاة ثم نسخه بفرض غيره ثم نسخ الثاني بالفرض في الصلوات الخمس ثم ذكر الآية في المزمل إلى قوله " أو انقص منه قليلا " وقال : أولها منسوخ بقوله تعالى : " إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ....." الآية إلى قوله " فاقرؤوا ما تيسر من القرآن"

قال : فنسخ قيام الليل أو نصفه أو أقل أو أكثر بها تيسر ، ثم نسخ هذا الناسخ بقول الله عز وجل "أقم الصلاة لدلوك الشمس " ودلوكها : زوالها " إلى غسق الليل " العتمة " وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا " الصبح " ومن الليل فتهجد به نافلة لك " فأعلمه أن صلاة الليل نافلة لا

فريضة ، وأن الفرائض فيما ذكر من ليل أو نهار ، قلت هذا هو الإستدلال الأول في كلام الشافعي رحمه الله والثاني وتره صلى الله عليه وسلم على الراحلة.

قال الشافعي : ففرائض الصلوات خمس وما سواها تطوع فأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على البعير ولم يصل مكتوبة علمناه على البعير.

قال النووي :- إن من خصائصه صلى الله عليه وسلم فعل هذا الواجب الخاص به عليه على الراحلة وذلك يخالف نص الشافعي

ويدل ما سلف من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية صريحا على أن صلاة الليل واجبة وخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم دون أمته روى هذه الأحاديث الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما.

الفصل الثالث : تطوع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قاعدا كتطوعه قائما.

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن تطوعه في الصلاة قاعدا كتطوعه قائما . أن هذه الخصوصية خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره . وهذه ثابتة بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء وهذه الأحاديث التالية تدل على هذا

- حدثني زهير بن حرب ، حدثنا جرير عن منصور ،عن هلال بن يسان ،عن أبي يحيى ،عن عبد الله بن عمرو ، قال : حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " صلاة الرجل قاعدا " نصف الصلاة قال : فاتيته فوجدته يصلي جالسا فوضعت يدي على رأسه فقال : ما لك يا عبد الله بن عمرو ؟ قلت حدثت يا رسول الله أنك قلت صلاة الرجل قاعدا على نصف الصلاة " وأنت تصلي قاعدا : قال " أجل " ولكني لست كأحد منك[١]"

وقوله " صلاة الرجل قاعدا نصف الصلاة " معناه : في الأجر وفيه تنشيط على القيام للصلاة ،وحمله بعضهم أنه في المصلي قاعدا فرضه لغير عذر والمصلي نفله لعذر وغير عذر وهذا اختيار الباجي ،وحمله الثوري وبن الماجشون في غير أصحاب الأعذار ، والمصلي جالسا على الإختيار ،وأن أجر صاحب العذر غير ناقص ،وحمله ابن شعبان على النفل دون الفرض ، وحمله بعضهم على من رخص له في الصلاة جالسا من أصحاب الأعذار ،لكنه لو كلف نفسه القيام لقدر عليه بمشقة ، وهذا يطرد في الفرض والنفل ،وهذا مذهب مالك فيمن يشق عليه القيام في الفريضة ، وهو قول أحمد ،وإسحاق،أنه يصلي قاعدا ،ومنع ذلك الشافعي إلا مع عدم القدرة على القيام واحتمال مشقة ذلك ، وأما في النفل فيجوز عند جميعهم مع القدرة ، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي في سبحته قاعدا ،وكان صلى الله عليه وسلم لا يترك الأفضل وإنما ذلك لمشقته التي لحقته آخر عمره من السن ،وطم البأس ، وكثرة اللحم ، كما قالت عائشة ، وقد علله في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص " إني لست كأحد منكم " فيكون هذا مما خص بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعلت صلاته قاعدا في الفضل كصلاته قائما ، ولعله أشار بقوله " إني لست كأحد منكم " أي ممن لا عذر له ، ومن قلت له ذلك القول ، وإنما أراد أنا ذوا عذر لهذا الذي ذكر

وأما قوله " لست كأحد منكم " فهو عند أصحابها من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت نافلته مع القدرة على القيام كنافلته قائما تشريفا له كما خص بأشياء معروفة ،فقال القاضي عياض معناه : أن النبي صلى الله عليه وسلم لحقه مشقة من القيام لحطم الناس وللسن ، فكان أجره تاما بخلاف غيره ممن لا عذر له ،هذا كلامه وهو ضعيف أو باطل .لأن غير النبي صلى الله عليه وسلم إن كان معذورا فثوابه أيضا كامل ، وإن كان قادرا على القيام فليس هو كالمعذور فلا يبقى فيه تخصيص فلا يحسن على هذا التقدير لست كأحد منكم ، وإطلاق هذا القول ، فالصواب ما قاله

[١] صحيح مسلم : ٧٣٥

أصحابنا : أن نافلته صلى الله عليه وسلم قاعدا مع القدرة على القيام ثوابها كثوابه قائما وهو من الخصائص[١]

- حدثنا الحكم بن موسى أبو صالح :حدثنا هقل بن زياد قال : سمعت الأوزاعي قال : حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة : حدثني ربيعة بن كعب الأسلمي قال : كنت ابيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوءه وحاجته فقال لي " سل فقلت :" أسألك مرافقتك في الجنة " قال : " أو غير ذاك " فقلت هو ذاك ،قال :" فأعني على نفسك بكثرة السجود"[٢]

وقوله "سل " فسأله مرافقته في الجنة فقال له أو غير ذلك ، قيل : لعله صلى الله عليه وسلم فهم منه المساواة معه في درجته وذلك ما لا ينبغي لغيره . فلذلك قال له : أو غير ذلك : أي سل غير هذا ، فلما قال له الرجل : هو ذاك قال له " اعني على نفسك بكثرة السجود " ليزداد من الغرب ورفعه الدرجات حتى يقرب من منزلته وإن لم يساوه فيها ، فإن السجود معارج القرب ومدراج رفعة الدرجات قال الله تعالى : "واسجد واقترب" وقال صلى الله عليه وسلم فس الحديث الآخر : " لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة " ولأن السجود غايته التواضع لله ، والعبودية له وتمكين أعز عضو فيي الإنسان وأرفعه وهو جهه من أدنى الأشياء وأخسها وهو التراب ، والأرض المدوسة بالأرجل والنعال وأصله في اللغة : الليل

- أخبرنا إسحاق قال : أخبرنا عبد الصمد قال سمعت أبي ،قال حدثنا الحسين عن ابن بريدة قال حدثنا ،عمران بن حسين ،-وكان مبسورا - قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الرجل قاعدا فقال : إن صلى قائما فهو أفضل ، ومن صلى قاعدا فله نصف أجر القائم ، ومن صلى نائما فله نصف أجر القاعد.[٣]

قوله " ومن صلى قاعدا " يستثنى من عمومه النبي صلى الله عليه وسلم فإن صلاته قاعدا لاينقص أجرها عن صلاته قائما ، الحديث عبد الله بن عمرو ، قال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " صلاة الرجل قاعدا على نصف الصلاة ز، فأتيته فوجدته يصلي جالسا فوضعت يدي على رأسي فقال ما لك ياعبد الله ؟فأخبرته فقال أجل ، ولكني لست كأحد منكم " وهذا ينبغي على أن المتكلم داخل في عموم خطابه وهو الصحيح. وقد عد الشافعية في خصائصه صلى الله عليه وسلم هذه المسألة ،وقال عياض في الكلام على تنفله صلى الله عليه وسلم قاعدا ،قد عالله في حديث عبد الله بن عمرو بقوله لست كأحد منكم فيكون هذا مما خص به ، قال إني ذو عذر ، وقد ورد النووي هذا الإحتمال قال :"وهو ضعيف باطل".

---

[١] شرح صحيح مسلم صـ ٤٨٩
[٢] صحيح مسلم : ٤٨٩
[٣] صحيح البخاري : ١١١٥

الفصل الرابع : إختصاص أمته صلى الله عليه وسلم بيوم الجمعة.

اختصت الأمة المحمدية بخصائص كثيرة في الدنيا لم تعطها غيرها من الأمم .ومن ذلك يوم الجمعة سيد الأيام ،خيز يوم طلعت فيه الشمس ،فيه خلق آدم عليه السلام ،وفيه اخرج منها ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا إلا اعطاه ما سأل ، وفيه صلاة الجمعة التي أمر الله بالسعي إليها في كتابه العزيز ،فقال عز من قائل : "ياأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون"[١] فهذا اليوم المبارك اختلفت فيه الأمم من قبلنا فهدانا الله وأضل الناس عنه فهو لنا ،ولليهود السبت ، وللنصارى يوم الأحد ،كما نطقت بذلك الأحاديث النبوية الكثيرة.

- حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب قال ،حدثنا أبو الزناد أن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج مولى ربيعة بن الحارث حدثه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتو الكتابيب من قبلنا ، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم .فاختلفوا فيه فهدانا الله له ، فالنس لنا فيه تبع : اليهود غدا ،والنصارى بعد غد ،[٢]

قوله "نحن الآخرون السابقون" في رواية بن عيينة عن أبي الزناد عند مسلم " نحن الآخرون ونحن السابقون " أي الآخرون زمنا والأولون منزلة ، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة لهم في الآخرة بأنهم أول من يحشر وأول من يحاسب وأل من يقضى بينهم وأول من يدخل الجنة ، وفي حديث حذيفة عند مسلم " نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق " وقيل :المراد هنا احراز فضيلة اليوم السابق بالفضل ،وهو يوم الجمعة ، ويوم الجمعة إن كان مسبوقا بسبت قبله أو أحد لكن لا يتصور اجتماع الأيام الثلاثة متوالية إلا ويكون يوم الجمعة سابقا ،وقيل المراد بالسبق أي إلى القبول والطاعة التي حرمها أهل الكتاب فقالوا : سمعنا وعصينا ،والأول أقوى

قوله " ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم " كذا للأكثر" الذي فرض الله عليهم " المراد باليوم يوم الجمعة ، والمراد بفرضه فرض تعظيمه ، وأشير إليه بهذا القول ذكر في أول الكلام كما عند مسلم من طريق آخر عن أبي هريرة ومن حديث حذيفة قالا :"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا .... " الحديث قال ابن بطال : ليس المراد أن يوم الجمعة فرض عليهم بعينه فتركوه ، لأنه لايجوز لأحد أن يترك ما فرض الله عليه وهو مؤمن ، وإنما يدل أنه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل إلى اختيارهم ليقوموا فيه شريعتهم

---

[١] سورة الجمعة : ٩
[٢] صحيح البخاري : ٨٧٦

فاختلفوا في أي الأيام هو ولم يهتدوا ليوم الجمعة ، ومال عياض إلى هذا ،ورشحه بأنه لو كان فرض عليهم بعينه لقيل فخالفوا بدل فاختلفوا ، وقال النووي : ممكن أن يكونوا امروا به صريحا ،فاختلفوا هل يلزم تعيينه أو يسوغ ابداله بيوم آخر فاجتهدوا في ذلك فأخطأوا ، ويشهر له ما وراءه الطبري باسناد صحيح عن مجاهد في قوله تعالى : "إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه"[١] قال أرادوا الجمعة فاخطأوا وأخذوا السبت مكانه ، ويحتمل أن يراد بالإختلاف اليهود والنصارى في ذلك ، وقد روى ابن أبي حاتم من طريق أسباط بن نصر عن الصدي : التصريح بأنهم فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فابو " ولفظه " إن الله فرض على اليهود الجمعة فابو ،وقالوا : يا موسى إن الله لم يخلق يوم السبت شيئا فعجله لنا ،فجعل عليهم ، وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع في قوله تعالى "ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة"[٢] وغير ذلك ، وكيف لا وهم القائلون "سمعنا وعصينا"

قوله " فهدانا الله له " يحتمل أن يراد بأن نص لنا عليه ،وأن يراد الهداية إليه بالإجتهاد ، ويشهد لنا فيما رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال : جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن تنزل الجمعة : فقالت الأنصار: إن لليهود يوماهيجتمعون فيه في كل سبعة أيام ، وللنصارى كذلك ، فهلم ولنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكره ، فجعلوه يوم العروبة ، واجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وأنزل الله تعالى بعد ذلك : " إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة " وهو إن كان مرسلافله شاهد بإسناد حسن وصححه بن خزيمة وغير واحد من حديث كعب بن مالك قال : " كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسعد بن زرارة. "

فمرسل بن سيرين يدل على أن الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالإجتهاد ،ولا يمنع ذلك أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن من إقامتها ثم فقد ورد فيه حديث عن بن عباس عند الدارقطني ، ولذلك جهع بهم أول ما قدم المدينة كما حكاه بن إسحاق وغيره ، وعلى هذا فقد حصلت الهداية للجمعة بجهة البيان والتوفيق

وقيل في الحكمة في اختيارهم الجمعة وقوع خلق آدم فيه ، والإنسان إنما خلق للعبادة فناسب أن يشتغل بالعبادة فيه ، ولأن الله تعالى أكمل فيه الموجودات وأوجد فيه الإنسان إنما خلق للعبادة فناسب أن يشكر على ذلك بالعبادة فيه.[٣]

"نحن الآخرون" زمنا في الدنيا "السابقون" أهل الكتاب وغيرهم منزلة وكرامة "يوم القيامة" وفي الحشر والحساب والقضاء لهم فيه الخلائق ، وفي دخول الجنة

---

[١] سورة النحل : ١٢٥
[٢] سورة البقرة : ٥٨
[٣] فتح الباري صـ ٤٣٤

"أوتو الكتاب " التوراة والإنجيل " من قبلنا " زاد في رواية أبي زرعة الدمشقي ، عن أبي اليمان ، فيما رواه الطبراني في مسند الشاميين عنه ،" وأوتيناه " " القرآن من بعدهم " " ثم هذا " أي يوم الجمعة (يومهم الذي فرض عليهم) وعلينا تعظيمه بعينه ،أو الإجتماع فيه

وروى بن أبي حاتم عن السدي " أن الله فرض على اليهود الجمعة فقالوا : يا موسى إن الله لم يخلق يوم السبت شيئا فاجعله لنا ، فجعل عليهم " وفي بعض الآثار مما نقله أبو عبد الله الأبي : أن موسى عليه الصلاة والسلام عين لهم يوم الجمعة ، وأخبرهم بفضيلته ، فناظروا بأن السبت أفضل ، فأوحى الله تعالى إليهم : دعهم وما اختاروا

والظاهر أنه عين لهم ، لأن السياق دل على دمهم في العدول عنه . فيجب أن يكون قد عين لهم ، لأنه لو لم يعينه لهم ووكل التعيين إلى اجتهادهم . لكان الواجب عليهم تعظيم يوم لا بعينه . فإذا أدى الإجتهاد إلى أنه السبت أو الأحد لزم المجتهد ما أدى الإجتهاد إليه ، ولا يأثم ويشهد له قوله " هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه " فإنه ظاهر . أو نص في التعيين ، وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم ، وكيف لا " وهم القائلون : " سمعنا وعصينا

ولأبي ذر وابن عساكر " عن الحمودي : هذا يومهم الذي فرض الله عليهم " فاختلفوا " هل يلزم بعينه او يسوغ لهم ابداله بغيره من الأيام ، فاجتهد وا فيي ذلك فاخطأوا " فهدانا الله له " بأن نص لنا عليه ولم يكلنا إلى اجتهادنا لاحتمال أن يكون ، صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي ، وهو بمكة فلم يتمكن من اقامتها بها.

وفيه حديث عن بن عباس عند الدارقطني : ولذلك جمع بهم أول ما قدم المدينة ،كما ذكره ابن اسحاق وغيره ،أو هدانا الله له بالإجتهاد".

كما يدل عليه مرسل ابن سيرين عند عبد الرزاق بإسناد صحيح ،ولفظه جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقبل أن ينزل الجمعة فقالت الأنصار ، : "إن لليهود يوماا يجتمعون فيه كل سبعة أيام ،وللنصارىمثل ذلك، فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعلى ونشكر ونشكره ، فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا فيه إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم.

وله شاهد باسناد حسن عند أبي داود وصححه بن خزيمة من حديث كعب بن مالك قان : أول من من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم" المدينة أسعد بن زرارة "

"فالناس لنا فيه تبع" ولأبي ذر فالناس لنا تبع : "اليهود"تعيين اليهود" غدا "يوم السبت" النصارىبعد غد " يوم الأحد كذا قدره ابن مالك ليسلم من الأخبار بظرف الزمان عن الجنة.ووجه اختيار اليهود ،يوم السبت لزعمهم أنه يوم فرغ الله فيه من خلق الخلق قالوا : فنحن تشريح فيه من العمل .ونشتغل بالعبادة والشكر . والنصارى : الأحد ، لأنه أول يوم بدأ فيه بخلق الخلق فاستحق

التعظيم

وقد هدانا الله تعالى للجمعة لأنه خلق فيه آدم عليه الصلاة والسلام ، والإنسان إنما خلق للعبادة ، وهو اليوم الذي فرضه الله تعالى غليهم ، فلم يهدهم له وادخر لنا واستدل به النووي رحمه الله تعالى على فريضة الجمعة لقوله : فرض عليهم ، فهدانا الله له ، فإن التقدير فرض عليهم وعلينا ، فضلوا وهدينا ، ويؤيده رواية مسلم عن سفيان عن أبي الزناد : كتب علينا[١]

- حدثنا القعنبي عن مالك عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أهبط وفيه تيب عليه ، وفيه مات ،وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا وهي مسبحة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس ، وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله عز وجل حجة إلا أعطاه إياها ..إلى آخره،[٢]

(فيه) أي يوم الجمعة (خلق آدم)الذي هو مبنى العالم ، (وفيه أهبط) أي أنزل من الجنة إلى الأرض لعدم تعظيمه يوم الجمعة بما وقع له من الزلة ليتداركه بعد النزول في الطعة والعبادة فيرتقي إلى أعلى درجات الجنة ، وليعلم قدر النعمة لأن المنحة تتبين عند المحنة والظاهر أن أهبط هنا بمعنى أخرج ،وفيه رواية لمسلم ،" فيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها " قيل : كان الإخراج من الجنة إلى السماء ، والإهباط منها إلى الأرض ، فيفيد أن كلا منهما كان يوم الجمعة ما في يوم واحد وإما في يومين.

(تيب عليه) وهو ماض مجهول من تاب أي وفق للتوبة وقبلت التوبة منه وهي أعظم المنة عليه . قال الله تعالى " ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى" (وفيه) أي في نحوه من أيام الجمعة (مات) والموة تحفة المؤمنيين كما ورد عن بن عمر مرفوعا ، رواه الحاكم والبيهقي وغيرهما ، قال القضي : لا شك أن خلق آدم فيه يوجب له شرفا ، وكذا وفاته فإنه سبب لوصوله إلى الجنات الأقدس والخلاص عن قوله" وفيه تقوم الساعة " وفيها نعمتان عظيمتان للمؤمنين وصولهم الى النعيم المقيم ،وحصول إلى اعلائهم في عذاب الجحيم.

" وما من دابة " زيادة من الإفادة الإستغراق في النفي (الا وهي مسيخة) بالسين بابدال الصاد سينا، ويروى مصيخة بالصاد ، وهما نعتان أي منتظرة لقيام الساعة ، قال الخطابي : قوله مسيخة معناه: مصيخة مستعملة يقال أصاخ وأساخ بمعنى واحد

[١] إرشاد الساري صـ٥٤١
[٢] أبو داوود : ١٠٤٣

(يوم الجمعة) ووجه إصاخة كل دابة وهي ما لا يعقل هو أن الله تعالى يجعلها مهمة بذلك مستشعرة عنه فلا عجب في ذلك من قدرة الله تعالى (من حين تصبح) قال الطيبي : بني على الفتح لإضافته إلى الجملة ويجوز اعرابه إلا أن الرواية بالفتح .(حتى تطلع الشمس) لأن القيامة تظهر يوم الجمعة بين الصبح وطلوع الشمس ،(شفقا) أي خوفا (من الساعة) أي من قيام القيامة وإنما سميت ساعة لوقوعها في ساعة (إلا الجن والإنس) فإنهم لا يعلمون ذلك أو أنهم لا يهمون بأن هذا يوم يحتمل وقوع القيامة فيه (لا يصادفها) أي لا يوافقها وهو يصلي حقيقة أو حكما بالإنتظار (يسأل الله) حال أو بدل (حاجة)من أمر الدنيا والآخرة (إلا أعطاه إياه) بالشروط المعتبرة في آداب الدعاء.

(ذلك في كل سنة يوم) قال الطيبي : الإشارة إلى اليوم المذكور المشتمل على تلك الساعة الشريفة ويوم خبره.

(فقلت بل في كل جمعة) قال الطيبي : أي هي في كل جمعة أو في كل أسبوع يوم .(صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي هذا معجزة عظيمة دالة على كمال علمه صلى الله عليه وسلم مع أنه أمي حيث أخبر بما خفي على أعلم أهل الكتاب[١].

قوله عز وجل : ياأيها الذين آمنوا إذا نودي من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون.

وأما هذه الآية فهي خير مثال يدل على أن يوم الجمعة خير يوم لأمة رسولنا صلى الله عليه وسلم وخاص بها ، كما أشار صاحب " مصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير" إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع ، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار ، وفيه كمال جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض ، وفيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لايوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيه خيرا إلا أعطاه إياه . كما ثبتت الأحاديث الصحاح.

وقد كان يقال له في اللغة القديمة يوم العروبة .وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق آدم ، واختار النصارى يوم الأحد الذيبي ابتدأ فيه الخلق ، واختار الله لهذا الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة كما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، : قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غدا ،والنصارى بعد غد."

[١] عون المعبود صـ ٣٥٨

وفي لفظ لمسلم " أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ،فجاء الله بنا ،فهدانا الله يوم الجمعة ،فجعل الله الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق[١] ".

- حدثنا هارون بن عبد الله ،حدثنا حسين بن علي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، ففيه قبض ،وفيه النفخة ،وفيه الصعقة ،فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي ، قال : قالوا يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرهت قال ، يقولون بليت ،فقال ،إن الله عز وجل حرّم على الأرض أجساد الأنبياء.[٢]

(إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة)

قال علي القاضي ،وفيه إشارة إلى أن يوم عرفة أفضل أو مساو ، (فيه خلق آدم) أي طينتة ، (فيه النفخة) أي النفخة الثانية التي توصل الأبرار إلى النعم الباقية .قال الطيبي فتبعه ابن حجر المكي أي النفخة الأولى فإنها مبدأ قيام الساعة ومقدم النشأة الثانية ولا منع من الجمع.

(وفيه الصعقة) أي الصيحة والمراد بها الصوت الهائل الذي يموت الإنسان من قوله وهي النفخة الأولى ، فاتكرار باعتبار تغاير الوصفين والأولى مااخترناه من التغاير الحقيقي (فاكثروا علي من الصلاة فيه) أي في يوم الجمعة فإن الصلاة من أفضل العبادات وهي فيها أفضل من غيرها لاختصاصها بتضاعف الحسنات إلى سبعين على سائر الأوقات ولكن أشغال الوقت الأفضل بالعمل الأفضل هو الأكمل والأجمل ولكونه سيد الأيام فيصرف في خدمة سيد الأيام عليه الصلاة والسلام.
(فإن صلاتكم معروضة علي) يعني على وجه القبول فيه وإلا فهي دائما تعرض عليه بواسطة الملائكة روضته فيسمعها بحضرته ، وقد جاء أحاديث كثيرة في فضل الصلاة يوم الجمعة وليلتها وفضيلة الإكثار منها على سيد الأبرار

استدل لذلك : بما أخرجه مسلم والنسائي وبن ماجه من حديث حذيفة وأبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ،وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة ، فجعل يوم الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخالائق

[١] تفسير مصباح المنير صـ١٤٠٣
[٢] أبو داود : ١٠٤٣

وأخرج الإمام أحمد في المسند في قصة لعائشة مع يهودي وهي عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه ، إنهم لا يحسدنا على شيئ كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها ، وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين ، إسناده حسن

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجه وأبو الشيخ في العظمة وبن مروية عن أبي لبابة بن عبد المنذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يوم الجمعة " سيد الأيام وأعظمها عند الله ، وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى ، وفيه خمس خصال : خلق الله فيه آدم ، وأهبطه فيه إلى الأرض ،وفيه توفى الله لآدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا أعطاه الله ما لم يسأل حراما ،وفيه تقوم الساعة ، ما من ملك ولا أرض ولا سماء ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة أن تقوم فيه الساعة[١].

وأخرج بن أبي شيبة وأحمد وأبو داود ،والنسائي وابن ماجه والدارمي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن أوس بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة ،[٢]

وأخرج سعيد بن منصور وأحمد والنسائي وابن أبي حاتم والطبراني وبن مرويه عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدري ما يوم الجمعة ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قالها ثلاث مرات ثم قال في الثالثة هو اليوم الذي جمع فيه أبوكم آدم أفلا أحدثكم عن يوم الجمعة لا يتطهر رجل فيحسن طهوره ،ويلبس أحسن ثيابه ، ويصيب من طيب أهله ، إن كان لهم طيب ، وإلا فالماء ثم يأتي المسجد فيجلس وينصت حتى يقضي الإمام صلاته إلا كانت كفارة ما بين الجمعة ما اجتنبت الكبائر ، وذلك الدهر كله ،[٣]

وإذا تأملنا الأحاديث المتقدمة وشرحها والآيات مع شرحها نجد أنها تدل على أن يوم الجمعة من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، كما كان يوم السبت من خصائص اليهود ، ويوم الأحد من خصائص النصارى ، وإنما سمي يوم الجمعة جمعة لأن الناس يجتمعون في ذلك اليوم ويتعبدون فيه أكثر من سائر الأيام

[١] مسند أحمد : باب : في حديث أبي لبابة
[٢] مسند أحمد : كتاب : أول مسند المدنيين أجمعين
[٣] مسند أحمد : باب : حديث سلمان الفارسي

الفصل الخامس : السواك في حق النبي صلى الله عليه وسلم واجب.

السواك وكان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم على الصحيح واستدل له بحديث عائشة رضي الله عنها عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ثلاث هن علي فرائض وهن لكم سنة ،: الوتر ،والسواك ،وقيام الليل

وهوحديث ضعيف أخرجه البيهقي في سننه وخلافياته ، وفي سنده موسى بن عبد الرحمن الصنعاني ، قال بن عربي :منكر الحديث ، وضع على بن جرير ، عن عطاء ، عن بن عباس كتب في التفسير ، جمعه من كلام مقاتل الكلبي . وقال البيهقي : موسى هذا ضعيف جدا ولم يثبت في هذا إسناد.
روى أبو داود والبيهقي في سندهما وابن خزيمة وبن حبان في صحيحهما من حديث عبد الله بن حنظلة بن عامر الغسيل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالوضوء لكل صلاة طاهر أو غير طاهر ، فلما شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء إلا من حدث.

وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال : حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ومن أصحابنا من حكى وجها في حقه كما في حق الأمة ، واستدل بحديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ،قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، " أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب علي " رواه الإمام أحمد في مسنده ،والطبراني في أكبر مجامعه من طريقين مدارهما على ليث.

وروى ابن ماجه من حديث أبي أمامة عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم ومرضات للرب ، ماجائني جبريل إلا اوصاني بالسواك ، حتى خشيت أن يفرض علي وعلى أمتي ، ولو لا خشيت على أمتي لفرضته عليهم ، وإني لاستاك حتى إني خشيت أن تدردر مقادم فمي.

تنبيهات

الأول هل المراد بوجوبه في حقه بالسنة إلى الصلاة المفروضة أو في النافلة أيضا أو إلى الأحوال التي أكدها في حقنا ؟

المراد بالأحوال التي أكدها في حقنا وهي:

١. عند إرادة الوضوء أو الغسل أو الصلاة
٢. عند الإنتباه من النوم
٣. عند تغير الفم
٤. عند إرادة قراءة القرآن

أو ما هو أعم من ذلك ، لم إر فيه نقلا ، وسياق حديث عبد الله بن حنظلة يقوي الأول ، وادعى بن الرفعة في كفايته في باب السواك : أنه لم يصح أنه صلى الله عليه وسلم فعل السواك إلا عند القيام إلى الصلاة وعند تغير الفم ، ثم قال: فإن قلت : قد روى مسلم عن شريح بن هانئ : سألت عائشة رضي الله عنها ، عن أي شيئ كان يبدأ به النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته قالت : بالسواك ، ولفظة كان تؤذن بالدوام.

ثم أجاب بأنه يحتمل أن يكون فعل ذلك لأجل تغير حصل في فمه . ثم استبعده بأن في رواية النسائي عن بن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم " يصلي ركعتين ثم ينصرف فيستاك."

الثاني : قال الشيخ تقي الدين بن الصلاح ، تردوا في وجوب السواك عليه وقطعوا بوجوب الضحى والوتر ، مع أن مستنده الحديث الضعيف ، ولو عكسوا فقطعوا بوجوب السواك للحديث السالف يعني حديث عبد الله بن حنظلة بن عامر الغسيل ، وتردوا في الأمور الثلاثة لكان أقرب . ويكون مستند التردد فيهما أن ضعف الحديث من جهة ضعف رواية أبي جناب الكلبي ، وفي ضعفه خلاف بين أئمة الحديث ، وقد وثقه بعضهم أي هو يزيد بن هارون ، كان حسن الرأي فيه[١].

الأحاديث الواردة تحت هذ الموضوع

١. حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَرْفَعُهُ، قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، لَأَمَرْتُهُمْ بِتَأْخِيرِ الْعِشَاءِ، وَبِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»[٢]
٢. حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَرَأَيْتُ زَيْدًا يَجْلِسُ فِي الْمَسْجِدِ، وَإِنَّ السِّوَاكَ مِنْ أُذُنِهِ مَوْضِعَ الْقَلَمِ مِنْ أُذُنِ الْكَاتِبِ، فَكُلَّمَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ اسْتَاكَ [٣]
٣. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْفٍ الطَّائِيُّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ تَوَضُّؤَ ابْنِ عُمَرَ لِكُلِّ صَلَاةٍ طَاهِرًا، وَغَيْرَ طَاهِرٍ، عَمَّ ذَاكَ؟ فَقَالَ: حَدَّثَتْنِيهِ أَسْمَاءُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، حَدَّثَهَا «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرَ بِالْوُضُوءِ لِكُلِّ صَلَاةٍ، طَاهِرًا وَغَيْرَ طَاهِرٍ، فَلَمَّا شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، أُمِرَ بِالسِّوَاكِ لِكُلِّ صَلَاةٍ»[٤]

الحديث الأول :

[١] غاية السؤل صـ ٩٥
[٢] أبو داوود : ٤٦
[٣] أبو داوود : ٤٧
[٤] أبو داوود : ٤٨

(يَرْفَعُهُ) هَذِهِ مَقُولَةُ الْأَعْرَجِ أَيْ يَقُولُ الْأَعْرَجُ يَرْفَعُ أَبُو هُرَيْرَةَ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذِهِ صِيغَةٌ يُكَنَّى بِهَا عَنْ صَرِيحِ الرَّفْعِ فَهُوَ أَيْضًا مِنْ أَقْسَامِ الْمَرْفُوعِ الْحُكْمِيِّ كَقَوْلِ التَّابِعِيِّ عَنِ الصَّحَابِيِّ يَرْفَعُ الْحَدِيثَ صَرَّحَ

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَالَ) أَيِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَوْلَا) مَخَافَةٌ (أَنْ أَشُقَّ) مَصْدَرِيَّةٌ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ عَلَى الِابْتِدَاءِ وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ وجوبا أي لولا المشقة موجود (بِتَأْخِيرِ الْعِشَاءِ) إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ كَمَا فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ وَأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ

وَرَوَى الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظِ لَأَخَّرْتُ صَلَاةَ الْعِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ

(وَبِالسِّوَاكِ) أَيْ لَأَمَرْتُهُمْ بِاسْتِعْمَالِ السِّوَاكِ لِأَنَّ السِّوَاكَ هُوَ آلَةٌ وَيُطْلَقُ عَلَى الْفِعْلِ أَيْضًا فَعَلَى هَذَا لَا تَقْدِيرَ وَالسِّوَاكُ مُذَكَّرٌ عَلَى الصَّحِيحِ وَحَكَى فِي الْمُحْكَمِ تَأْنِيثَهُ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ الْأَزْهَرِيُّ .

(عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ) وَكَذَا فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ وَالنَّسَائِيِّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ بِلَفْظِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ وَخَالَفَهُ سَعِيدُ بْنُ أَبِي هِلَالٍ عَنِ الْأَعْرَجِ فَقَالَ مَعَ الْوُضُوءِ بَدَلَ الصَّلَاةِ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِهِ وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ قَالَ الْحَافِظُ قَالَ الْقَاضِي الْبَيْضَاوِيُّ لَوْلَا كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الشَّيْءِ لِثُبُوتِ غَيْرِهِ وَالْحَقُّ أَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ لَوِ الدَّالَّةِ عَلَى انْتِفَاءِ الشَّيْءِ لِانْتِفَاءِ غيره ولا النَّافِيَةُ فَدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى انْتِفَاءِ الْأَمْرِ لِثُبُوتِ الْمَشَقَّةِ لِأَنَّ انْتِفَاءَ النَّفْيِ ثُبُوتٌ فَيَكُونُ الْأَمْرُ مَنْفِيًّا لِثُبُوتِ الْمَشَقَّةِ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ لِلْوُجُوبِ مِنْ وَجْهَيْنِ ,

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ نَفَى الْأَمْرَ مَعَ ثُبُوتِ النَّدْبِيَّةِ وَلَوْ كَانَ لِلنَّدْبِ لَمَا جَازَ النَّفْيُ

وَثَانِيهِمَا أَنَّهُ جَعَلَ الْأَمْرَ مَشَقَّةً عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ لِلْوُجُوبِ إِذِ النَّدْبُ لَا مَشَقَّةَ فِيهِ لِأَنَّهُ جَائِزُ التَّرْكِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ السِّوَاكَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ وَاجِبًا لَأَمَرَهُمْ بِهِ شَقَّ عَلَيْهِمْ أَوْ لَمْ يَشُقَّ وَإِلَى الْقَوْلِ بِعَدَمِ وُجُوبِهِ صَارَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بَلِ ادَّعَى بَعْضُهُمْ فيه بالإجماع لَكِنْ حَكَى الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ وَتَبِعَهُ الْمَاوَرْدِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهْوَيْهِ قَالَ هُوَ وَاجِبٌ لِكُلِّ صَلَاةٍ فَمَنْ تَرَكَهُ عَامِدًا بَطَلَتْ صَلَاتُهُ

وَعَنْ دَاوُدَ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ وَاجِبٌ لَكِنْ لَيْسَ شَرْطًا وَاحْتَجَّ مَنْ قَالَ بِوُجُوبِهِ بِوُرُودِ الأمر به فعند بن مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ مَرْفُوعًا تَسَوَّكُوا وَلِأَحْمَدَ نَحْوُهُ مِنْ حَدِيثِ الْعَبَّاسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ قَالَ الْمُنْذِرِيُّ وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فَضْلَ السِّوَاكِ فَقَطْ وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ الْفَضْلَيْنِ وَأَخْرَجَ بن مَاجَهْ فَضْلَ الصَّلَاةِ وَأَخْرَجَ فَضْلَ السِّوَاكِ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فَضْلَ السِّوَاكِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَفِي التَّوَسُّطِ شَرْحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَهَذَا الْأَمْرُ يَحْتَمِلُ كَوْنُهُ لَهُ خَاصًّا بِهِ أَوْ شَامِلًا لِأُمَّتِهِ وَيَحْتَمِلُ كَوْنُهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا بأن تكون الْآيَةُ عَلَى ظَاهِرِهَا.

٤ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَرْتُ بِالسِّوَاكِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَنْزِلُ عَلَيَّ فيه قُرْآنٌ،

وهذ الحديث ضعيف . لأن في إسناده ضعيف ولكن الأحاديث المتقدمة كلها صحيحة . وهذه تدل على أن السواك واجب في حق النبي صلى الله عليه وسلم . وأنا أرى أيضا أن السواك واجب في حق النبي صلى الله عليه وسلم حسبما بحثت من الأحاديث الصحيحة وشروحها وأقوال العلماء.

الفصل السادس: اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالوصال في الصوم دون غيره من أفراد أمته.

أن الله تعالى أباح له الوصال في الصوم دون غيره من أفراد أمته . فهذه الخصوصية من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم من الأشياء المباح له . وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم توضحنا هذه الخصوصية كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

هذه الأحاديث الواردة تحت الخصوصية مع شروحها.

١. حدثنا مسدد، قال: حدثني يحيى، عن شعبة، قال: حدثني قتادة، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تواصلوا» قالوا: إنك تواصل، قال: «لست كأحد منكم إني أطعم، وأسقى، أو إني أبيت أطعم وأسقى»[١]

٢. حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، حدثني ابن الهاد، عن عبد الله بن خباب، عن أبي سعيد رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «لا تواصلوا، فأيكم إذا أراد أن يواصل، فليواصل حتى السحر»، قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله قال: «إني لست كهيئتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني، وساق يسقين»[٢]

٣. حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن الوصال» قالوا: إنك تواصل، قال: «إني لست مثلكم إني أطعم وأسقى»[٣]

٤. حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ومحمد قالا: أخبرنا عبدة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم»، فقالوا: إنك تواصل، قال: «إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقين»، قال أبو عبد الله: «لم يذكر عثمان رحمة لهم»[٤]

٥. حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة رضي الله عنه، قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم» فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، قال: «وأيكم مثلي، إني أبيت يطعمني ربي ويسقين»، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوما، ثم يوما، ثم رأوا الهلال، فقال: «لو تأخر لزدتكم»[٥]

٦. حدثنا يحيى بن موسى، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إياكم والوصال» مرتين قيل: إنك تواصل، قال: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فاكلفوا من العمل ما تطيقون»

---

[١] صحيح البخاري : ١٩٦١
[٢] صحيح البخاري : ١٩٦٣
[٣] صحيح البخاري : ١٩٦٢
[٤] صحيح البخاري : ١٩٦٤
[٥] صحيح البخاري : ١٩٦٥

الحديث الأول :

قوله لا تواصلوا في رواية بن خزيمة من طريق أبي سعيد مولى بني هاشم عن شعبة بهذا الإسناد إياكم والوصال ولأحمد من طريق همام عن قتادة نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال.

قوله قالوا إنك تواصل كذا في أكثر الأحاديث وفي رواية أبي هريرة الآتية في أول الباب الذي يليه فقال رجل من المسلمين وكأن القائل واحد ونسب القول إلى الجميع لرضاهم به ولم أقف على تسمية القائل في شيء من الطرق قوله لست كأحد منكم في رواية الكشميهني كأحدكم وفي حديث بن عمر لست مثلكم وفي حديث أبي سعيد لست كهيئتكم وفي حديث أبي زرعة عن أبي هريرة عند مسلم لستم في ذلك مثلي ونحوه في مرسل الحسن عند سعيد بن منصور وفي حديث أبي هريرة في الباب بعده وأيكم مثلي وهذا الاستفهام يفيد التوبيخ المشعر بالاستبعاد وقوله مثلي أي على صفتي أو منزلتي من ربي قوله إني أطعم وأسقى أو إني أبيت أطعم وأسقى.

هذا الشك من شعبة وقد رواه أحمد عن بهز عنه بلفظ إنى أظل أو قال إني أبيت وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ إن ربي يطعمني ويسقيني أخرجه الترمذي وقد رواه ثابت عن أنس كما سيأتي في باب التمني بلفظ إني أظل يطعمني ربي ويسقيني وبين في روايته سبب الحديث وهو أنه صلى الله عليه وسلم واصل في آخر الشهر فواصل ناس من أصحابه فبلغه ذلك.

وزاد في رواية "ومن قال ليس في الليل صيام لقوله عز وجل ثم أتموا الصيام إلى الليل كأنه يشير إلى حديث أبي سعيد الخيري وهو حديث ذكره الترمذي في الجامع ووصله في العلل المفرد وأخرجه بن السكن وغيره في الصحابة والدولابي وغيره في الكنى كلهم من طريق أبي فروة الرهاوي عن معقل الكندي عن عبادة بن نسي عنه ولفظ المتن مرفوعا إن الله لم يكتب الصيام بالليل فمن صام فقد تعنى ولا أجر له قال بن منده غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال الترمذي سألت البخاري عنه فقال ما أرى عبادة سمع من أبي سعيد الخير وفي المعنى حديث بشير بن الخصاصية وقد أخرجه أحمد والطبراني وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وبن أبي حاتم في تفسيرهما بإسناد صحيح إلى ليلى امرأة بشير بن الخصاصية قالت أردت أن أصوم يومين مواصلة فمنعني بشير وقال أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا وقاليفعل ذلك النصارى ولكن صوموا كما أمركم الله تعالى أتموا الصيام إلى الليل فإذا كان الليل فأفطروا لفظ بن أبي حاتم وروى هو وبن أبي شيبة من طريق أبي العالية التابعي أنه سئل عن الوصال في الصيام فقال قال الله تعالى ثم أتموا الصيام إلى الليل فإذا جاء الليل فهو مفطر.

وروى الطبراني في الأوسط من طريق علي بن أبي طلحة عن عبد الملك عن أبي ذر رفعه قال لا صيام بعد الليل أي بعد دخول الليل ذكره في أثناء حديث وعبد الملك ما عرفته فلا يصح وإن كان بقية رجاله ثقات ومعارضه أصح منه كما سأذكره ولو صحت هذه الأحاديث لم يكن للوصال معنى

أصلا ولا كان في فعله قربة وهذا خلاف ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان الراجح أنه من خصائصه.

الحديث الثاني :

قوله "رحمة لهم" فدل على أنها من رواية محمد بن سلام وحده قد أخرجه مسلم عن إسحاق بن راهويه وعثمان بن أبي شيبة جميعا وفيه رحمة لهم ولم يبين أنها ليست في رواية عثمان وقد أخرجه أبو يعلى والحسن بن سفيان في مسنديهما عن عثمان وليس فيه رحمة لهم وأخرجه الإسماعيلي عنهما كذلك وأخرجه الجوزقي من طريق محمد بن حاتم عن عثمان وفيه رحمة لهم فيحتمل أن يكون عثمان كان تارة يذكرها وتارة يحذفها وقد رواها الإسماعيلي عن جعفر الفريابي عن عثمان فجعل ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه قالوا إنك تواصل قال إنما هي رحمة رحمكم الله بها إني لست كهيئتكم.

واستدل بمجموع هذه الأحاديث على أن الوصال من خصائصه صلى الله عليه وسلم وعلى أن غيره ممنوع منه إلا ما وقع فيه الترخيص من الإذن فيه إلى السحر ثم اختلف في المنع المذكور فقيل على سبيل التحريم وقيل على سبيل الكراهة وقيل يحرم على من شق عليه ويباح لمن لم يشق عليه وقد اختلف السلف في ذلك فنقل التفصيل عن عبد الله بن الزبير وروى بن أبي شيبة بإسناد صحيح عنه أنه كان يواصل خمسة عشر يوما وذهب إليه من الصحابة أيضا أخت أبي سعيد ومن التابعين عبد الرحمن بن أبي نعم وعامر بن عبد الله بن الزبير وإبراهيم بن زيد التيمي وأبو الجوزاء.

ومن حجتهم ما بعده أنه صلى الله عليه وسلم واصل بأصحابه بعد النهي فلو كان النهي للتحريم لما أقرهم على فعله فعلم أنه أراد بالنهي الرحمة لهم والتخفيف عنهم كما صرحت به عائشة في حديثها وهذا مثل ما نهاهم عن قيام الليل خشية أن يفرض عليهم ولم ينكر على من بلغه أنه فعله ممن لم يشق عليه وسيأتي نظير ذلك في صيام الدهر فمن لم يشق عليه ولم يقصد موافقة أهل الكتاب ولا رغب عن السنة في تعجيل الفطر لم يمنع من الوصال وذهب الأكثرون إلى تحريم الوصال .

وعن الشافعية في ذلك وجهان التحريم والكراهة هكذا اقتصر عليه النووي وقد نص الشافعي في الأم على أنه محظور وأغرب القرطبي فنقل التحريم عن بعض أهل الظاهر على شك منه في ذلك ولا معنى لشكه فقد صرح بن حزم بتحريمه وصححه بن العربي من المالكية وذهب أحمد وإسحاق وبن المنذر وبن خزيمة وجماعة من المالكية إلى جواز الوصال إلى السحر لحديث أبي سعيد رضي الله عنه .

وهذا الوصال لا يترتب عليه شيء مما يترتب على غيره إلا أنه في الحقيقة بمنزلة عشائه إلا أنه يؤخره لأن الصائم له في اليوم والليلة أكلة فإذا أكلها السحر كان قد نقلها من أول الليل إلى آخره وكان أخف لجسمه في قيام الليل ولا يخفى أن محل ذلك ما لم يشق على الصائم وإلا فلا يكون قربة

وانفصل أكثر الشافعية عن ذلك بأن الإمساك إلى السحر ليس وصالا بل الوصال أن يمسك في الليل جميعه كما يمسك في النهار وإنما أطلق على الإمساك إلى السحر وصالا لمشابهته الوصال في الصورة ويحتاج إلى ثبوت الدعوى بأن الوصال إنما هو حقيقة في إمساك جميع الليل .

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يواصل من سحر إلى سحر أخرجه أحمد وعبد الرزاق من حديث علي والطبراني من حديث جابر وأخرجه سعيد بن منصور مرسلا من طريق بن أبي نجيح عن أبيه ومن طريق أبي قلابة وأخرجه عبد الرزاق من طريق عطاء واحتجوا للتحريم بقوله في الحديث المتقدم إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم إذ لم يجعل الليل محلا لسوى الفطر فالصوم فيه مخالفة لوضعه كيوم الفطر وأجابوا أيضا بأن قوله رحمة لهم لا يمنع التحريم فإن من رحمته لهم أن حرمه عليهم وأما مواصلته بهم بعد نهيه فلم يكن تقريرا بل تقريعا وتنكيلا فاحتمل منهم ذلك لأجل مصلحة النهي في تاكيد زجرهم لأنهم إذا باشروه ظهرت لهم حكمة النهي وكان ذلك أدعى إلى قلوبهم لما يترتب عليهم من الملل في العبادة والتقصير فيما هو أهم منه وأرجح من وظائف الصلاة والقراءة وغير ذلك والجوع الشديد ينافي ذلك وقد صرح بأن الوصال يختص به لقوله لست في ذلك مثلكم وقوله لست كهيئتكم هذا مع ما انضم إلى ذلك من استحباب تعجيل الفطر.[١]

الحديث الثالث :

وروى البزار والطبراني من حديث سمرة نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال وليس بالعزيمة وأما ما رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله قد قبل وصالك ولا يحل لأحد بعدك فليس إسناده بصحيح فلا حجة فيه ومن أدلة الجواز إقدام الصحابة على الوصال بعد النهي فدل على أنهم فهموا أن النهي للتنزيه لا للتحريم وإلا لما أقدموا عليه ويؤيد أنه ليس بمحرم أيضا أنه صلى الله عليه وسلم في حديث بشير بن الخصاصية الذي ذكرته في أول الباب سوى في علة النهي بين الوصال وبين تأخير الفطر حيث قال في كل منهما إنه فعل أهل الكتاب ولم يقل أحد بتحريم تأخير الفطر سوى بعض من لا يعتد به من أهل الظاهر ومن حيث المعنى ما فيه من فطم النفس وشهواتها وقمعها فلهذا استمر على القول بجوازه مطلقا أو مقيدا.

استواء المكلفين في الأحكام وأن كل حكم ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم ثبت في حق أمته إلا ما استثني بدليل وفيه جواز معارضة المفتي فيما أفتى به إذا كان بخلاف حاله ولم يعلم المستفتي بسر المخالفة وفيه الاستكشاف عن حكمة النهي وفيه ثبوت خصائصه صلى الله عليه وسلم وأن عموم قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة مخصوص وفيه أن الصحابة كانوا يرجعون إلى فعله المعلوم صفته ويبادرون إلى الائتساء به إلا فيما نهاهم عنه .

---

[١] فتح الباري صـ٢٤٧

وفيه أن خصائصه لا بتأسى به في جميعها وقد توقف في ذلك إمام الحرمين وقال أبو شامة ليس لأحد التشبه به في المباح كالزيادة على أربع نسوة ويستحب التنزه عن المحرم عليه والتشبه به في الواجب عليه كالضحى وأما المستحب فلم يتعرض له والوصال منه فيحتمل أن يقال إن لم ينه عنه لم يمنع الائتساء به فيه.[١]

بعث الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وسكب في قلبه من العلم والحلم وفي خلقه من الإيناس والبر وفي طبعه من السهولة والرفق وفي يده من السخاوة والندى ما جعله أزكى عباد الله رحمة وأوسعهم عاطفة وأرحبهم صدرا .

قال الله تعالى " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"[٢] وقال الله تعالى : لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.[٣]

فجاءت شريعته مبنية على التيسير والسهولة والتخفيف والرحمة ورفع الحرج والآصار والأغلال ما يلائم اختلاف الأجيال وحاجات العصور وشتى البقاع .

فمن ذلك نهيه صلى الله عليه وسلم عن مواصلة صوم يومين فصاعدا من غير أكل أوشرب بينهما لما في ذلك من المشقة وحصول المفسدة المترتبة على الوصال وهي الملل من العبادة والتعرض للتقصيرفي بعض وظائف الدين . بينما كان ذلك مباحا له صلى الله عليه وسلم خصوصية له دون غيره.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ واستدل بمجموع هذه الأحاديث على أن الوصال من خصائصه صلى الله عليه وسلم وعلى أن غيره ممنوع منه إلا ما وقع فيه الترخيص من الإذن فيه إلى السحر.

وقال النووي : قال الخطابي وغيره من أصحابنا : الوصال من الخصائص التي أبيحت لرسول الله وحرمت على الأمة.

وأشار صاحب " إكمال المعلم بفوائد مسلم"

قال القاضي عياض: اختلف العلماء في أحاديث الوصال، فقيل: النهي عنه رحمة وتخفيف، فمن قدر فلا حرج، وقد واصل جماعة من السلف الأيام. قال: وأجازه ابن وهب وأحمد وإسحاق إلى السحر، ثم حكىأبو عمر بن عبد البر عن مالك والثوري وأبي حنيفة والشافعي وجماعة من أهل الفقه , والأثر كراهة الوصال للجميع . لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه ولم يجيزوه لأحد . وقال الخطابي : الوصال من الخصائص التي أبيحت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو محضور على أمته .

---

[١] فتح الباري صـ٣٤٩
[٢] سورة الأنبياء : ١٠٧
[٣] سورة التوبة : ١٢٨

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني" دليل على اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بالوصال .

ومعنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " يطعمني ربي ويسقيني" فيها وجوه

- أنه على ظاهره كرامة له واختصاصا .
- أنه كفاية عن القوة التي جعلها الله له , وإن لم يطعم ويسق , حتى يكون كمن فعل به ذلك .

وقوله في حديث عاصم "واصل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول شهر رمضان " كذا للعذري والطبري والسجزي والباجي , وأكثر نسخ مسلم وهو وهم ,وصوابه " في آخر شهر رمضان " وكذا جاء عن الهوزني , وبدليل قوله في الحديث الآخر "وذلك في آخر الشهر" ولقوله في الآخر "لو مد لنا الشهر لواصلنا " وبقوله في الأخر "واصل لهم يوما ويوما ثم رأوا الهلال" وفيها "أما والله لو تمدى لي الشهر لواصلته " وعند العذري "تماد" معنى تمدد , وهو قريب المعنى , بمعنى مد في الرواية الأخرى "يوما ويوما ثم رأوا الهلال"[١]

وقد أشار الإمام النووي ـرحمه الله ـ اتفق أصحابنا على النهي عن الوصال وهو صوم يومين فصاعدا من غير أكل أو شرب بينهما، ونص الشافعى وأصحابنا على كراهته، ولهم في هذه الكراهة وجهان، أصحهما: أنها كراهة تحريم، والثاني: كراهة تنزيه، وبالنهي عنه قال جمهور العلماء.

وقال الخطابي وغيره من أصحابنا: الوصال من الخصائص التي أبيحت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحرمت على الأمة. واحتج لمن أباحه بقوله في بعض طرق مسلم: نهاهم عن الوصال رحمة لهم، وفي بعضها لما أبوا أن ينتهوا واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال، فقال: "لو تأخر الهلال لزدتكم"، وفي بعضها: "لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم". واحتج الجمهور بعموم النهي،

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني" معناه: يجعله الله تعالى في قوة الطاعم الشارب، وقيل: هو على ظاهره، وأنه يطعم من طعام الجنة كرامة له، والصحيح الأول، لأنه لو أكل حقيقة لم يكن مواصلا، ومما يوضح هذا التأويل ويقطع كل نزاع قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرواية التي بعد هذا: "إني أظل يطعمني ربي ويسقيني" ولفظة ظل لا تكون إلا في النهار، ولا يجوز الأكل الحقيقي في النهار بلا شك،[٢]

قال الله تعالى عز وجل " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة "

---

[١] إكمال المعلم : صـ٢٥٧

[٢] شرح صحيح مسلم : صـ ١٥٢

حيث حضر الهيجاء بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم، عن أمر جاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنفسه فيه؟"

فَتَأسَّوْا به في هذا الأمر وغيره. واستدل الأصوليون في هذه الآية، على الاحتجاج بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الأصل، أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به.

فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة.

فالأسوة الحسنة، في الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن المتأسِّي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم.

وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسِّي بهم[١]

[١] تيسير الكريم الرحمن : صـ ٢٠٩

الفصل السابع : إختصاصه صلى الله عليه وسلم بتحريم الزكاة عليه وعلى آله.

ما اختص به صلى الله عليه وسلم من المحرمات تكرهة له ,فإن أجر ترك المحرم أكثر من أجر ترك المكروه وفعل المندوب اذ المحرم في المنهيات كالواجب في المأمورات.

فالزكات إنها حرام عليه وشاركه في ذلك ذوو القربى بسببه أيضا .فالخاصية عائدة إليه , فإنها أوساخ الناس كما أخرجه مسلم وسيأتي إن شاء الله ,ومنصبه منزه عن ذلك وهي أيضا تعطي على سبيل الترحم المنبئ عن ذل الأخذ فأبدلوا عنها بالغنيمة المأخوذة بطريق العز والشرف المنبئ عن عز الأخذ وذل المأخوذ منه .

وقد اختلف العلماء السلف أن الأنبياء تشاكه في ذلك أم يختص به دونهم؟ فقال بالأول حسن البصري وبالثاني سفيان بن عيينة .

وأما صدقة التطوع ففي تحريمها عليه وعلى آله أربعة أقوال : أحدها : نعم , وثانيها :لا ,وإنما كان عليه الصلاة والسلام يمنع عنها ترفعا , وأصحهما تحرم عليهم دونهم , ورابعها : يحرم عليهم الخاصته دون العامة أي : كالمساجد ومياه الآبار .وأبدى الماوردي وجها إختاره : إن ما كان منها أموالا متقومة مانت محرمة عليه صلى الله عليه وسلم دون ما كان منها غير متقوم فتخرج صلواته في المساجد وشربه ماء زمزم وبئر رومة .

وهذا التفصيل الذي أبداه الماوردي جيد , ولعله أخذه من الواقع ,لأنه التابت عنه والواقع , قد يقال : إن الصدقة إذا بلغ محلها حلت لمن لا تحل له من قبل بدليل قصة حديث بريرة "هي لها صدقة ولنا هدية "والذي ذكرها هن لما وضع المسلمون يدهم عليها بالتصرف فحلت للنبي صلى الله عليه وسلم بذلك لبلوغها محلها .

أما من حيث الدليل فأخرج ابن سعد في الطبقات ١\٣٧٧ عن أبي هريرة , وعائشة وعبد الله بن بسرأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وأخرج في الطبقات ١\٣٩٠ ,عن الحسن بلفظ إن الله حرم عليالصدقة وأهل بيتي .

وحكى الرافعي هنا الخلاف من وجهين فقال : ومن المحرمات الصدقة في أظهر الوجهين وكذا أحكاه العجلي في شرح الوسيط والجرجاني في الشافعي

قال الشافعي : وأما آل محمد الذين جعل لهم الخمس عوضا عن الصدقة فلا يعطون من الصدقات المفروضات شيئا قل أو كثر , لا يحل لهم أن يأخذوها ولا يجزئ عمن يعطيهموها إذا عرفهم .

وآل محمد صلى الله عليه وسلم الذين تحرم عليهم الصدقة المفروضة , أهل الخمس , وهم أهل الشعب وهم صلبية بني هاشم وبني المطلب . ولا يحرم على آل محمد صلى الله عليه وسلم صدقة

التطوع وإنما يحرم عليهم الصدقة المفروضة وقال : مال الجمهور فقهاء الشافعية إلى هذا الرأي وقد نبهنا على أن الأدلة عامة لا دليل على التفرقة فيما نرى.[١]

الأحاديث الواردة تحت هذه الخصوصية

١. حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن محمد وهو ابن زياد، سمع أبا هريرة، يقول: أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟» [٢]

٢. حدثنا يحيى بن يحيى، وأبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب، جميعا عن وكيع، عن شعبة، بهذا الإسناد، وقال: «أنا لا تحل لنا الصدقة؟»

٣. حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر وحدثنا ابن المثنى حدثنا ابن أبي عدي كلاهما عن شعبة في هذا الإسناد كما قال ابن معاذ " أنا لا نأكل الصدقة "

٤. حدثني هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو، أن أبا يونس، مولى أبي هريرة، حدثه عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه، قال: «إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي، ثم أرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها[٣]«

٥. حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن طلحة بن مصرف، عن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد تمرة، فقال: «لولا أن تكون من الصدقة، لأكلتها»[٤]

الحديث الأول:

قوله (أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كخ كخ ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة) وفي رواية لا تحل لنا الصدقة قال: القاضي يقال كخ كخ بفتح الكاف وكسرها وتسكين الخاء ويجوز كسرها مع التنوين وهي كلمة يزجر بها الصبيان عن المستقذرات فيقال له كخ أي اتركه وارم به قال الداودي هي عجمية معربة بمعنى بئس وقد أشار إلى هذا البخاري بقوله في ترجمة باب من تكلم بالفارسية والرطانة وفي الحديث أن الصبيان يوقون ما يوقاه الكبار وتمنع من تعاطيه وهذا واجب على الولي.

قوله صلى الله علي وسلم "أما علمت أنا لَا نَأْكُل الصَّدَقَة " هَذِه اللَّفْظَة تقال فِي الشَّيْء الْوَاضِح التَّحْرِيم وَنَحْوه وَإِن لم يكن الْمُخَاطب عَالما بِهِ وَتَقْدِيره عجب كَيفَ خَفِي عَلَيْك هَذَا مَعَ ظُهُور تَحْرِيم

[١] غاية السؤل : صـ ١٣٥
[٢] صحيح مسلم : ١٠٢٩
[٣] صحيح مسلم : ١٠٧٠
[٤] صحيح مسلم : ١٠٧١

الزكاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله , وهم بنو هاشم , وبنو المطلب هذا مذهب الشافعي وموافقيه , أن آله صلى الله عليه وسلم , وبه قال بعض المالكية , وقال أبو حنيفة ومالك , هم بنو هاشم خاصة.

قال القاضي وقال بعض العلماء هم قريش كلها

والثاني تحرم عليه وعليهم , والثالث تحل له ولهم وأما موالي بني هاشم وبني المطلب فهل تحرم عليهم الزكاة ؟

فيه وجهان : أصحهما تحرم لحديث أبي رافع والثاني تحل وبالتحريم قال أبو حنيفة وسائر الكوفيين وبعض المالكية وبالاباحة قال مالك وادعى بن بطال المالكي أن الخلاف إنما هو في موالي بني هاشم وأما موالي غيرهم فتباح لهم بالإجماع وليس كما قال بل الأصح عند أصحابنا تحريمها على موالي بني هاشم وبني المطلب ولا فرق بينهما.

الحديث الثاني :

قوله صلى الله عليه وسلم (إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي م أرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها) فيه تحريم الصدقة عليه صلى الله عليه وسلم وأنه لا فرق بين صدقة الفرض والتطوع لقوله صلى الله عليه وسلم الصدقة بالألف واللام وهي تعم النوعين ولم يقل الزكاة وفيه استعمال الورع لأن هذه التمرة لا تحرم بمجرد الاحتمال لكن الورع تركها.

قوله (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بتمرة في الطريق فقال لولا أن تكون من الصدقة لأكلتها) فيه استعمال الورع وفيه أن التمرة ونحوها من محقرات الأموال لا يجب تعريفها بل يباح أكلها والتصرف فيها في الحال لأنه صلى الله عليه وسلم إنما تركها خشية أن تكون من الصدقة لا لكونها لقطة وهذا الحكم متفق عليه وعلله أصحابنا وغيرهم بأن صاحبها في العادة لا يطلبها ولا يبقى له فيها مطمح.[١]

وقد أشار صاحب "فتح الباري" لم يعين الحكم لشهرة الاختلاف فيه والنظر فيه في ثلاثة مواضع:

أولها المراد بالآل هنا بنو هاشم وبنو المطلب على الأرجح من أقوال العلماء . قال الشافعي أشركهم النبي صلى الله عليه وسلم في سهم ذوي القربى ولم يعط أحدا من قبائل قريش غيرهم وتلك العطية عوض عوضوه بدلا عما حرموه من الصدقة وعن أبي حنيفة ومالك بنو هاشم فقط وعن أحمد في بني المطلب روايتان وعن المالكية فيما بين هاشم وغالب بن فهر قولان فعن أصبغ منهم هم بنو قصي وعن غيره بنو غالب بن فهر.

[١] شرح صحيح مسلم : ٧-١٧٥

ثانيها كان يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم صدقة الفرض والتطوع كما نقل فيه غير واحد منهم الخطابي الإجماع لكن حكى غير واحد عن الشافعي في التطوع قولا وكذا في رواية عن أحمد ولفظه في رواية الميموني لا يحل للنبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته صدقة الفطر وزكاة الأموال والصدقة يصرفها الرجل على محتاج يريد بها وجه الله فأما غير ذلك فلا أليس يقال كل معروف صدقة.

قال بن قدامة ليس ما نقل عنه من ذلك بواضح الدلالة وإنما أراد أن ما ليس من صدقة الأموال كالقرض والهدية وفعل المعروف كان غير محرم قال الماوردي يحرم عليه كل ما كان من الأموال متقوما وقال غيره لا تحرم عليه الصدقة العامة كمياه الآبار.

واختلف هل كان تحريم الصدقة من خصائصه دون الأنبياء أو كلهم سواء في ذلك؟

ثالثها هل يلتحق به آله في ذلك أم لا قال بن قدامة لا نعلم خلافا في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقة المفروضة كذا قال وقد نقل الطبري الجواز أيضا عن أبي حنيفة وقيل عنه يجوز لهم إذا حرموا سهم ذوي القربى حكاه الطحاوي ونقله بعض المالكية عن الأبهري منهم وهو وجه لبعض الشافعية وعن أبي يوسف يحل من بعضهم لبعض لا من غيرهم وعند المالكية في ذلك أربعة أقوال مشهورة الجواز المنع جواز التطوع دون الفرض عكسه.

وأدلة المنع ظاهرة من حديث الباب ومن غيره ولقوله تعالى ((قل ما أسألكم عليه من أجر))[١] ولو أحلها لآله لأوشك أن يطعنوا فيه ولقوله ((خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها))[٢] وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الصدقة أوساخ الناس كما رواه مسلم ويؤخذ من هذا جواز التطوع دون الفرض وهو قول أكثر الحنفية والمصحح عند الشافعية والحنابلة وأما عكسه فقالوا إن الواجب حق لازم لا يلحق بآخذه ذلة بخلاف التطوع ووجه التفرقة بين بني هاشم وغيرهم أن موجب المنع رفع يد الأدنى على الأعلى فأما الأعلى على مثله فلا ولم أر لمن أجاز مطلقا دليلا إلا ما تقدم عن أبي حنيفة.[٣]

قوله صلى الله عليه وسلم " أنا لا نأكل الصدقة " في رواية مسلم "إنا لا تحل لنا الصدقة" وفي رواية معمر "إن الصدقة لا تحل لآل محمد" وكذا عند أحمد والطحاوي من حديث الحسن بن علي نفسه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فمر على جرين من تمر الصدقة فأخذت منه تمرة فألقيتها في في فأخذها بلعابها فقال: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة وإسناده قوي وللطبراني والطحاوي من حديث أبي ليلى الأنصاري نحوه.

---

[١] سورة الشعراء : ١٤٥
[٢] سورة التوبة : ١٠٣
[٣] فتح الباري : صـ ٤٣٢

وفي رواية , أن عائشة رضي الله عنها، أرادت أن تشتري بريرة للعتق، وأراد مواليها أن يشترطوا ولاءها، فذكرت عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «اشتريها فإنما الولاء لمن أعتق» قالت: وأتي النبي صلى الله عليه وسلم بلحم، فقلت: هذا ما تصدق به على بريرة، فقال: «هو لها صدقة، ولنا هدية».[١]

وقد أشار الإمام ابن حجر العسقلاني "لم يترجم لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا لموالي النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يثبت عنده فيه شيء وقد نقل بن بطال أنهن أي الأزواج لا يدخلن في ذلك باتفاق الفقهاء وفيه نظر فقد ذكر بن قدامة أن الخلال أخرج من طريق بن أبي مليكة عن عائشة قالت "إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة" قال وهذا يدل على تحريمها.

وإسناده إلى عائشة حسن وأخرجه بن أبي شيبة أيضا وهذا لا يقدح فيما نقله بن بطال وروى أصحاب السنن وصححه الترمذي وبن حبان وغيره عن أبي رافع مرفوعا إنا لا تحل لنا الصدقة وأن موالي القوم من أنفسهم وبه قال أحمد وأبو حنيفة وبعض المالكية كابن الماجشون وهو الصحيح عند الشافعية.

وقال الجمهور يجوز لهم لأنهم ليسوا منهم حقيقة ولذلك لم يعوضوا بخمس الخمس ومنشأ الخلاف قوله منهم أو من أنفسهم هل يتناول المساواة في حكم تحريم الصدقة أو لا وحجة الجمهور أنه لا يتناول جميع الأحكام فلا دليل فيه على تحريم الصدقة لكنه ورد على سبب الصدقة.

وقد اتفقوا على أنه لا يخرج السبب وإن اختلفوا هل يخص به أو لا ويمكن أن يستدل لهم بحديث الباب لأنه يدل على جوازها لموالي الأزواج قال بن المنير في الحاشية إنما أورد البخاري هذه الترجمة ليحقق أن الأزواج لا يدخل مواليهن في الخلاف ولا يحرم عليهن الصدقة قولا واحدا لئلا يظن الظان أنه لما قال بعض الناس بدخول الأزواج في الآل أنه يطرد في مواليهن فبين أنه لا يطرد.

ثم أورد ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الباب حديثين

- حديث بن عباس في الانتفاع بجلد الشاة لقوله فيه أعطيتها مولاة لميمونة من الصدقة.
- حديث عائشة في قصة بريرة وفيه قوله صلى الله عليه وسلم في اللحم الذي تصدق به عليها "هو لها صدقة ولنا هدية"

واستنبط البخاري من قصة بريرة وأم عطية أن للهاشمي أن يأخذ من سهم العاملين إذا عمل على الزكاة وذلك أنه إنما يأخذ على عمله قال فلما حل للهاشمي أن يأخذ ما يملكه بالهدية مما كان صدقة لا بالصدقة كذلك يحل له أخذ ما يملكه بعمله لا بالصدقة .

[١] صحيح البخاري : ١٤٩٢

واستدل به أيضا على جواز صدقة التطوع لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم فرقوا بين أنفسهم وبينه صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم ذلك بل أخبرهم أن تلك الهدية بعينها خرجت عن كونها صدقة بتصرف المتصدق عليه فيها.[١]

وبين صاحب "إكمال المعلم بفوائد مسلم" قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لولا أن تكون من الصدقة، لأكلتها»

قال الإمام : فيه دليل على أن المال وإن كان الأقل منه حراما يجتنب , لأن الزكاة في جنب الأموال يسيرة و فإذا امتنع من الأكل مع تجوز التحريم فأحرى مع ثبوته

قال القاضي : هذا على ظاهر الورع والتنزه وأما طريق الإباحة والفتوى لحكم للغالب والأكثر .

قال الإمام : وفيه دليل على أن اللقطة اليسيرة من الطعام وغيره مما لايلتفت الناس إليه , ولا ينتبهون إلى طلبه يستباح , لأنه إنما علل في امتناعه من الأكل بالخشية من أن تكون صدقة . والصدقة لا تحل له عليه السلام ولا لبني هاشم عندنا . واختلف في صدقة التطوع , هل تحل لآل النبي صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ واختلف في مواليه ,هل حكمهم حكم آله ؟

قال القاضي :اختلف العلماء في الصدقة المحرمة على آل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل : الفريضة فقط . وهو قول مالك وكثير من أصحابه , وأحد قولي أبي حنيفة ,وقال أبو حنيفة : أنها كلها حلال لبني هاشم وغيرهم , وإنما كان ذلك محرما عليهم إذا كانوا يأخذون سهم ذي القربى ,فلما قطع عنهم حلت لهم , ونحوه عن الأبهري من شيوخنا , وروي عن أبي يوسف أنه حرام عليهم من غيرهم حلال لهم صدقة بعضهم على بعض .

[١] فتح الباري : صـ ٤٣٤

الباب الثالث : النبوة ، وفيه أربعة فصول :-

الفصل الأول : ختم النبوة

من رحمة الله بعباده إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم ، ومن تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به ، وإكمال الدين الحنيف به ، وقد أخبر الله عز وجل في كتابه ، ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه : أنه لا نبي بعده ليعلم العباد أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ، قال الله تعالى : "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيئ عليما"[١]

إنه خاتم النبيين ، ولا يعارضه ما ورد من نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان ، فإنه لا يأتي بشريعة ناسخة ، بل مقرر لها ، عاملا بها.

وبأنه خاتم النبيين وآخرهم بعثا فلا نبي بعده ، وشرعه مؤبد إلى يوم القيامة لا ينسخ ، وناسخ لجميع الشرائع قبله ، ولو أدركه الأنبياء لوجب عليهم الاتباع ، وفي كتابه وشرعه الناسخ والمنسوخ ، وبعموم الدعوة للناس كافة ، وأنه أكثر الأنبياء تابعا.

وقوله تعالى : "ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيئ عليما" فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده ، فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى ، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فإن كل رسول نبي ، ولا ينعكس ، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

ومما يدل على هذه الخصوصية من السنة ما يأتي :

❋ قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر الأزدي ، حدثنا زهير بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبي بن كعب ، عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها ، وأكملها ، وترك موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ، ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة"[٢]

❋ حديث آخر :- قال الإمام أحمد :- حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زيد ، حدثنا المختار بن فلفل ، حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي." قال : فشق ذلك على الناس ، فقال :

---

[١] سورة الأحزاب : ٤٠

[٢] أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (١٦٧/٣٥ ، ٢١٢٤٣)

"ولكن المبشرات" ، قالوا : يا رسول الله ! وما المبشرات ؟ قال : رؤيا الرجل المسلم ، وهي جزء من أجزاء النبوة"

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صرح في هذا الحديث أن النبوة قد انقطعت ، وأنه خاتم النبيين وآخرهم بعثا ، فلا رسول بعده ولا نبي.

❁ حديث آخر :- حدثنا محمد بن سنان ، حدثنا سليم بن حيان ، حدثنا سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم "مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها ، إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون : لولا موضع اللبنة"[١]

❁ حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا فأتمها إلا لبنة واحدة ، فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة"[٢]

❁ حديث آخر : قال الإمام مسلم :حدثنا يحيى بن أيوب ، وقتيبة ، وعلي بن حجر قالوا : حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون"[٣]

❁ حديث آخر : قال الزهري : أخبرني محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن لي أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي"[٤]

❁ حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، حدثنا سعيد بن سويد الكلبي ، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : إني عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته"

المراد بخاتم النبيين في أسمائه أنه خاتم النبيين ، ولمح بها وقع في القرآن ، وأشار إلى ما أخرجه في التاريخ من حديث العرباض بن سارية رفعه : "إني عبد الله ، وخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل

---

[١] رواه البخاري ، المناقب ، باب خاتم النبيين (ح ٣٥٣٤)
[٢] أخرجه الإمام أحمد بسند ومتنه (المسند ٩/٣) وسنده صحيح
[٣] أخرجه الإمام مسلم بسنده ومتنه (الصحيح ، المساجد ومواضع الصلاة ح ٥٢٣)
[٤] صحيح البخاري (ح ٣٥٣٢)

في طينته" أخرجه أحمد أيضا ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وأورد فيه حديثي أبي هريرة وجابر، ومعناهما واحد ، وسياق أبي هريرة أتم ، ووقع في آخر حديث حديث جابر عند الإسماعيلي من طريق عفان بن سليم بن حبان "فأنا موضع اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء"

المشبه به واحد ، والمشبه جماعة ، فكيف صح التشبيه ؟ وجوابه أنه جعل الأنبياء كرجل واحد ، لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل ، وكذلك الدار لا يتم إلا باجتماع البنيان ، ويحتمل أن يكون من التشبيه التمثيل ، وهو أن يوجد وصف من أوصاف المشبه ، ويشبه بمثله من أحوال المشبه به ، فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به ، من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ، ورفع بنيانه ، وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت ، وزعم ابن العربي أن اللبنة المشار إليها كانت في أسس الدار المذكورة ، وأنها لولا وضعها لانقضت تلك الدار ، قال : وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور ، وهذا إن كان منقولا فهو حسن ، وإلا فليس بلازم ، نعم ظاهر السياق أن تكون اللبنة في مكان يظهر عدم الكمال في الدار بفقدها ، وقد وقع في رواية همام عند مسلم "إلا موضع لبنة من زاوية من زوايها" ، فيظهر أن المراد أنها مكملة محسنة ، وإلا لاستلزم أن يكون الأمر بدونها كان ناقصا ، وليس كذلك فإن شريعة كل نبي بالنسبة إليه كاملة ، والمراد هنا : النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة.

والأحاديث في هذا كثيرة ، فمن رحمة الله تبارك وتعالى بالعباد إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم ، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به ، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله تعالى في كتابه ، ورسوله في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب وأفاك ودجال وضال ومضل، لو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولي الألباب كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم حجى أنهما كاذبان ضلان لعنهما الله ، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال ، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها ، وهذا من تمام لطف الله بخلقه ، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق ، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره ، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم ، كما قال تعالى : "هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم" (سورة الشعراء) ، وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه ، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات ، فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت السماوات والأرض.

قال الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم : "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيئ عليما"

والآية نص في أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وأنه لا نبي بعده في البشر ، لأن النبيين عام ، فخاتم النبيين هو خاتمهم في صفة النبوة ، ولا يعكر على نصية الآية أن العموم دلالته على الأفراد ظنية ، لأن ذلك احتمال وجود مخصص ، وقد تحققنا عدم المخصص بالاستقراء.

وقد أجمع الصحابة على أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل والأنبياء ، وعرف ذلك وتواتر بينهم وفي الأجيال من بعدهم ، ولذلك لم يترددوا في تكفير مسيلمة الكذاب والأسود العنسي ، فصار معلوما من الدين بالضرورة فمن أنكر فهو كافر خارج عن الإسلام ، ولو كان معترفا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله للناس كلهم.

وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئا من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده ، وأما من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته ، وأهدى لهم وأجدى ، إذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : "يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون من بعده نبيا" ، وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : "أن الله تبارك وتعالى لما حكم أنه لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا" ، وقيل : "من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم ، إذ هو كالوالد لولد ليس له غيره، وقوله "وكان الله بكل شيئ عليما" أي : علمه بكل شيئ دخل فيه أن لا نبي بعده ، فعلم أن من الحكمة إكمال شرع محمد صلى الله عليه وسلم أن زوجه بزوجة دعيه تكميلا للشرع ، وذلك من حيث إن قول النبي صلى الله عليه وسلم يفيد شرعا لكن إذا امتنع هو عنه يفيد في بعض النفوس نفرة ، ألا ذكر أنه ذكر بقوله ما فهم منه حل أكل الضب ، ثم لما لم يأكل منه بقي في النفوس شيئ ، ولما أكل لحم الجمل طاب أكله مع أنه في بعض الملل لا يؤكل وكذلك الأرنب.

ومما يدل على هذه الخصوصية من السنة ما يأتي :

❁ أخرج ابن مردويه عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسو الله صلى الله عليه وسلم : إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي.

❁ وأخرج أحمد عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله وسلم قال : في أمتي كذابون ودجالون سبعة وعشرون ، منهم أربع نسوة ، وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي.

❁ وأخرج ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قولوا خاتم النبيين ، ولا تقولوا : لا نبي بعدي"

❋ وأخرج ابن أبي شيبة عن الشعبي رضي الله عنه قال : قال رجل عند المغيرة بن أبي شعبة صلى الله على محمد خاتم الأنبياء لا نبي بعده ، فقال المغيرة : حسبك إذا قلت خاتم الأنبياء ، فأنا كنا نحدث أن عيسى عليه السلام خارج ، فإن هو خرج فقد كان قبله وبعده.

أجمعت الأمة عليه ، واشتهرت فيه الأخبار ، ولعلها بلغت مبلغ التواتر المعنوي ، ونطق به الكتاب على قول ، ووجب الإيمان به ، وأكفر منكره كالفلاسفة من نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان ، لأنه كان نبيا قبل تحلي نبينا صلى الله عليه وسلم بالنبوة في هذه النشأة، ومثل هذا يقال ، لكنه لا يتعبد بها لنسخها في حقه وحق غيره ، وتكليفه بأحكام هذه الشريعة أصلا وفرعا ، فلا يكون إليه عليه السلام وحي ولا نصب أحكام ، بل يكون خليفة للرسول صلى الله عليه وسلم وحاكما من حكام ملته بما علمه في السماء قبل نزوله من شريعته عليه الصلاة والسلام كما في بعض الآثار ، أو ينظر في الكتاب والسنة ، وهو عليه السلام لا يقصر عن رتبة الاجتهاد المؤدي إلى استنباط ما يحتاج إليه أيام مكثه في الأرض من الأحكام وكسره الصليب وقتله الخنزير ووضعه الجزية وعدم قبولها مما علم من شريعتنا صوابيته في قوله عليه الصلاة والسلام : "إن عيسى ينزل حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية" ،

فنزوله عليه السلام غاية لإقرار الكفار ببذل الجزية على تلك الأحوال ، ثم لا يقبل إلا الإسلام ، لا نسخ لها ، قاله الإمام إبراهيم اللقاني في هداية المريد لجوهرة التوحيد ، وقوله : إنه عليه السلام حين ينزل باق على نبوته السابقة لم يعزل عنها بحال ، لكنه لا يتعبد بها لنسخها في حقه وحق غيره ، أحسن من قول الخفاجي الظاهر أن المراد من كونه على دين نبينا صلى الله عليه وسلم انسلاخه عن وصف النبوة والرسالة بأن يبلغ ما يبلغه عن الوحي ، وإنما يحكم بما يتلقى عن نبينا صلى الله عليه وسلم ولذا لم يتقدم لإمامة الصلاة مع المهدي ، ولا أظنه عنى بالانسلاخ عن وصف النبوة والرسالة عزله عن ذلك بحيث لا يصح إطلاق وصف النبوة والرسالة عليه الصلاة والسلام ، فمعاذ الله أن يعزل رسول أو نبي عن الرسالة أو النبوة ، بل أكاد لا أتعقل ذلك ، ولعله أراد أنه لا يبقى وصف تبليغ الأحكام عن وحي كما كان له قبل الرفع ، فهو عليه السلام نبي رسول قبل الرفع ، وفي السماء وبعد النزول وبعد الموت أيضا ، وبقاء النبوة والرسالة بعد الموت في حقه وحق غيره من الأنبياء والمرسلين حقيقة مما ذهب إليه غير واحد ،

فإن المتصف بهما وكذا بالإيمان هو الروح ، وهي باقية لا تتغير بموت البدن ، نعم ذهب الأشعري كما قال النسفي إلى أنهما بعد الموت باقيان حكما ، وما أفاده كلام اللقاني من أنه عليه الصلاة والسلام يحكم بما علم في السماء قبل نزوله من الشريعة قد أفاده السفراييني في البحور الزاخرة ، وهو الذي أميل له ، وأما أنه يجتهد ناظرا في الكتاب والسنة فبعيد وإن كان عليه الصلاة والسلام قد أوتي فوق ما أوتي مجتهدوا الأمم مما يتوقف عليه الاجتهاد بكثير ، إذ قد ذهب معظم أهل العلم إلى

أنه حين ينزل يصلي وراء المهدي رضي الله عنه صلاة الفجر ، وهذا الوقت يضيق عن استنباط ما تضمنته تلك الصلاة من الأقوال والأفعال من الكتاب والسنة على الوجه المعروف.

نعم لا يعبد أن يكون عليه السلام قد في السماء بعضا ، ووكل إلى الاجتهاد والأخذ من الكتاب والسنة في بعض آخر ، وقيل : إنه عليه الصلاة والسلام يأخذ الأحكام من نبينا صلى الله عليه وسلم شفاها بعد نزوله وهو في قبره الشريف عليه الصلاة والسلام ، وأيد بحديث أبي يعلى : "والذي نفسي بيده لينزلن عيسى بن مريم ، ثم لئن قام على قبري ، وقال : يا محمد ، لأجيبنه"

وأما قوله سبحانه : "وخاتم النبيين" فقد قيل إنه جيئ به لكمال نصحه وشفقته صلى الله عليه وسلم ، فيفيد أن أبوته عليه الصلاة والسلام للأمة المشار إليها بقوله تعالى : "ولكن رسول الله" أبوة كاملة فوق أبوة سائر الرسل عليهم السلام لأممهم ، وذلك لأن الرسول الذي يكون بعده رسول بما لا يبلغ في الشفقة وفي النصيحة نهايتها اتكالا على من يأتي بعده كالوالد الحقيقي إذا علم أن لولده بعده من يقوم مقامه.

وقيل : إنه جيئ به للإشارة إلى امتداد تلك الأبوة المشار إليها بما قيل إلى يوم القيامة ، فكأنه قيل : "ما كان أبا أحد من رجالكم" بحيث تثبت بينه وبينه حرمة المصاهرة ، ولكن كان أبا كل واحد منكم وأبا أبنائكم وأبناء أبنائكم وهكذا إلى يوم القيامة ، بحيث يجب له عليكم وعلى من تناسل منكم احترامه وتوقيره ، ويجب عليه لكم ولمن تناسل منكم الشفقة والنصح الكامل.

وقيل : إنه جيئ به لدفع ما يتوهم من قوله تعالى "من رجال" من أنه عليه الصلاة والسلام يكون أبا أحد من رجاله الذين ولدوا منه عليه الصلاة الوسلام بأن يولد منه ذكر فيعيش حتى يبلغ مبلغ الرجال ، وذلك لأن كونه عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين يدل على أنه لا يعيش له ولد ذكر حتى يبلغ ، لأنه لو بلغ لكان منصبه أن يكون نبيا ، فلا يكون هو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين ، ويراد بالأب عليه : الأب الصلب لئلا يعترض بالحسنين رضي الله عنهما ، ودليل الشرطية : ما رواه إبراهيم السدي عن أنس قال : كان إبراهيم يعني : ابن النبي صلى الله عليه وسلم قد ملأ المهد ، ولو بقي لكان نبيا ، لكن لم يبق ، لأن نبيكم آخر الأنبياء عليهم السلام ، وجاء نحوه في روايات أخر.

أخرج البخاري من طريق محمد بن بشر عن إسماعيل بن أبي خالد قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى: رأيت إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : مات صغيرا ، ولو قضى بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي عاش ابنه إبراهيم ولكن لا نبي بعده.

وأخرج أحمد عن وكيع عن إسماعيل سمعت ابن أبي أوفى يقول : لو كان بعد النبي نبي ما مات ابنه.

والإمام ابن عبد البر فقد قال في التمهيد : لا أدري ما هذا ، فقد ولد نوح عليه السلام غير نبي ، ولو لم يلد النبي إلا نبيا لكان كل أحد نبيا ، لأنهم من نوح عليه السلام ، وأنا أقول : لا يظن بالصحابي الهجوم على الأخبار عن مثل هذا الأمر بالظن ، فالظاهر أنه لم يخبر إلا عن توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا الأمر في إبراهيم خاصة ، بأن يكون قد سبق في علم الله تعالى أنه لو عاش لجعله جل وعلا نبيا ، لا لكونه ابن النبي صلى الله عليه وسلم ، بل الأمر هو جل شأنه به أعلم "والله أعلم حيث يجعل رسالته" ، وحينئذ يرد على الشرطية السابقة ، أعني قوله : لأنه لو بلغ لكان منصبه أن يكون نبيا منع ظاهر.

وقول بعض الأفاضل : ليس مبنى تلك الشرطية على اللزوم العقلي ، والقياس المنطقي ، بل على مقتضى الحكمة الإلهية : وهي أن الله أكرم بعض الرسل عليهم السلام بجعل أولادهم أنبياء كالخليل عليه السلام ، ونبينا صلى الله عليه وسلم أكرمهم عليه ، وأفضلهم عنده ، فلو عاش أولاده اقتضى تشريف الله تعالى له ، وأفضليته عنده ذلك ليس بشيئ ، لأننا نقول : لا يلزم من إكرام الله تعالى بعض رسله عليهم السلام بنبوة الأولاد ، وكون نبينا صلى الله عليه وسلم أكرمهم وأفضلهم اقتضاء التشريف والأفضلية نبوة أولاده لو عاشوا وبلغوا ليقال : إن حكمة كونه عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين لكونها أجل وأعظم منعت من أن يعيشوا فينبؤوا ، ألا أترى أن الله أكرم بعض الرسل بجعل بعض أقاربهم في حياتهم وبعد مماتهم أنبياء معينين لهم ، ومؤيدين لشريعتهم غير مخالفين لها في أصل أو فرع كموسى عليه السلام ، ونبينا عليه الصلاة والسلام أكرمهم وأفضلهم ، ولم يجعل له ذلك.

فإن قيل : إنه عوض صلى الله عليه وسلم عنه بأن جعل جل شأنه له من أقاربه وأهل بيته علماء أجلاء كأنبياء بني إسرائيل كعلي رضي الله عنه ، كما يرشد إليه قوله صلى الله عليه وسلم له : "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" قلنا : فلم لا يجوز أن يبقى سبحانه له عليه الصلاة والسلام أولادا ذكورا بالغين ويعوض عن نبوتهم التي منعت عنها حكمة الخاتمية نحو ما عوضه عن نبوة بعض أقاربه التي منعت عنها تلك الحكمة ، وذلك أقرب لمقتضى التشريف كما لا يخفى ، وقيل : الملازمة مستفادة من الآية ، لأنه لولاها لم يكن للاستدراك معنى ، إذ "لكن" تتوسط بين متقابلين ، فلا بد من منافاة بنوتهم له عبيه الصلاة والسلام لكونه خاتم النبيين ، وهو إنما يكون باستلزام بنوتهم ، ولا يقدح فيه قوله تعالى : "رسول الله" كما يتوهم ، لأنه لو سلم رسالتهم لكانت إما في عصره ، وهي تنافي رسالته ، أو بعده وهي تنافي خاتميته.

الفصل الثاني : أخذ الله له العهد والميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه

أخذ الله عز وجل العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى عيسى عليهما السلام لما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة ، وبلغ أي مبلغ ، ثم بعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ليؤمنن به ، ولينصرنه ، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباعه ونصرته ، كما أمرهم أن يأخذوا هذا الميثاق على أممهم لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم – وهو أحياء – ليؤمنن به ، ولينصرنه.

قال الله تعالى في القرآن الكريم : {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}[1]

قال علي بن أبي طالب ، وابن عباس رضي الله عنهم : "ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه ميثاق "لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته : لئن بعث محمد – وهم أحياء – ليؤمنن به ، ولينصرنه"

وعن جابر: " أن عمر بن الخطاب، أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب ، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال: " أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني"

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : "فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه ، دائما إلى يوم الدين ، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم ؛ ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس"

يقول الله تعالى مخبرا عن أولي العزم الخمسة ، وبقية الأنبياء : أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله تبارك وتعالى ، وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق ، كما قال تعالى : {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}

فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم ، وكذلك هذا ، ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة ، وهم أولوا العزم ، وهو من باب عطف الخاص على العام ، وقد صرح بذكرهم أيضا في هذه الآية ،

[1] آل عمران : ٨١

وفي قوله تعالى : {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}[١]

فذكر الطرفين ، والوسط الفاتح ، والخاتم ، ومن بينهما على الترتيب ، فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها. كما قال الله عز وجل : وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم" ، فبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه. ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم.

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة الدمشقي ، حدثنا محمد بن بكار ، حدثنا سعيد بن بشير ، حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تبارك وتعالى : "وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم" قال النبي صلى الله عليه وسلم : "كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ، فبدأ بي قبلهم" ، سعيد بن بشير فيه ضعف ، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلا ، وهو أشبه ، وقد رواه بعضهم عن قتادة موقوفا.

وقال أبو بكر البزار : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا حمزة الزيات ، حدثنا عدي بن ثابت ، عن أبي حاتم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : "خيار ولد آدم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم" موقوف ، وحمزة فيه ضعف.

وقيل : إن المراد بهذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة الذر من صلب آدم عليه السلام ، كما قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال : "ورفع أباهم آدم فنظر إليهم ، فرأى فيهم الغني والفقير ، وحسن الصورة ودون ذلك. فقال: يارب ، لوسويت بين عبادك ؟ قال : إني أحببت أن أشكر . ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور ، وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة ، فهو الذي يقول تعالى "وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا"

وهذا قول مجاهد أيضا ، وقال ابن عباس : الميثاق الغليظ : العهد

أن الله أخذ ميثاق النبيين في أنهم يبلغون رسالات الله ، ولا يمنعهم من ذلك خوف ولا طمع ، المراد من الميثاق المأخوذ من النبيين إرسالهم وأمرهم بالتبليغ.

خص بالذكر في الآية المتقدمة أربعة من الأنبياء ، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى.

---

[١] سورة الشورى : ١٣

وقوله تعالى : "وأخذنا منهم ميثاقا غليظا" غلظ الميثاق هو : سؤالهم عما فعلوا في الإرسال ، كما قال تعالى : "ولنسئلن المرسلين"[١] ، وهذا لأن الملك إذا أرسل رسولا وأمره شيئ وقبله فهو ميثاق ، فإذا أعلمه بأنه يسأل عن حاله في أفعاله وأقواله يكون ذلك تغليظا للميثاق عليه حتى لا يزيد ولا ينقص في الرسالة. وعلى هذا يمكن أن يقال بأن المراد من قوله تعالى : "وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا" ، هو الإخبار بأنهم مسؤولون عنها ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : "كلكم راع وكلكم مسؤول"[٢] ، وكما أن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء جعل الأنبياء قائمين بأمور أمتهم وإرشادهم إلى سبيل الرشاد.

قال الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم : {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}

ذكر الله تعالى في هذه الآية أنه أخذ الميثاق من الأنبياء الذين آتاهم الكتاب والحكمة بأنهم كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم آمنوا به ونصروه ، وأخبر أنهم قبلوا ذلك ، وحكم تعالى بأن من رجع عن ذلك كان من الفاسقين.

أما قوله : "ميثاق النبيين" فاعلم أن المصدر يجوز إضافته إلى الفاعل والمفعول ، فيحتمل أن يكون الميثاق مأخوذا منهم ، ويحتمل أن يكون مأخوذا لهم من غيرهم ، فلهذا السبب اختلفوا في تفسير هذه الآية على هذين الوجهين.

أما الاحتمال الأول : وهو أنه تعالى أخذ الميثاق منهم في أن يصدق بعضهم بعضا ، وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاووس – رحمهم الله - ، وقيل : إن الميثاق هذا مختص بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو مروي عن علي ، وابن عباس ، وقتادة ، والسدي رضوان الله عليهم.

واحتج أصحاب هذا القول على صحته من وجوه :

الحجة الأولى : أن قوله تعالى : "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين" يشعر بأن آخذ الميثاق هو الله تعالى ، والمأخوذ منهم هم النبيون ، فليس في الآية ذكر الأمة ، فلم يحسن صرف الميثاق إلى الأمة ، ويمكن أن يجاب عن من وجوه :

الأول : أن على الوجه الذي قلتم يكون الميثاق مضافا إلى الموثق عليه ، وعلى الوجه الذي قلنا يكون إضافته إليهم إضافة الفعل إلى الفاعل ، وهو الموثق له ، ولا شك أن إضافة لفعل إلى الفاعل

---

[١] سورة الأعراف : ٦
[٢] صحيح ، أخرجه البخاري (٨٩٣)

أقوى من إضافته إلى المفعول ، فإن لم يكن فلا أقل من المساواة ، وهو كما يقال : ميثاق الله وعهده ، فيكون التقدير : وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الله للانبياء على أممهم ،

الثاني : أن يراد ميثاق أولاد النبيين ، وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف ، وهو كما يقال : فعل بكر بن وائل كذا ، وفعل معد بن عدنان كذا ، والمراد أولادهم وقومهم ، فكذا ههنا.

الثالث : أن يكون المراد من لفظ "النبيين" أهل الكتاب ، وأطلق هذا اللفظ عليهم تهكما بهم على زعمهم ، لأنهم كانوا يقولون : نحن أولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم ، لأننا أهل الكتاب ، ومنا كان النبيون.

الرابع : أنه كثيرا ورد في القرآن لفظ النبي ، والمراد منه أمته ، قال تعالى : "ياأيها النبي إذا طلقتم النساء"[١]

الحجة الثانية : لأصحاب هذا القول : ما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال : "لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني"[٢]

الحجة الثالثة : ما نقل عن علي رضي الله عنه أنه قال : إن الله تعالى ما بعث آدم عليه السلام ومن بعده من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا أخذ عليهم العهد لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، فهذا يمكن نصرة هذا القول به ، والله أعلم.

والاحتمال الثاني : إن المراد بالآية أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم ، بأنه إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به وأن ينصروه ، وهو قول كثير من العلماء ، وقد بيننا أن اللفظ محتمل له ، وقد احتجوا على صحته بوجوه :

الحجة الأولى : ما ذكره أبو مسلم الأصفهاني ، فقال : ظاهر الآية يدل على أن الذين أخذ الله ميثاقا منهم يجب عليهم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه ، وكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يكونون عبد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من زمرة الأموات ، والميت لا يكون مكلفا ، فلما كان الذين أخذ الميثاق عليهم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه ، ولا يمكن إيجاب على الأنبياء عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[١] سورة الطلاق : ١

[٢] أخرجه أحمد في المسند (٣ / ٣٨٧) من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر ، مجالد هو ابن سعيد ، قد ضعفه بعض أهل العلم

علمنا أن الذين أخذ الميثاق عليهم ليسوا هم النبيين ، بل هم أمم النبيين ، قال : ومما يؤكد هذا أنه تعالى حكم على الذين أخذ عليهم الميثاق أنهم لو تولوا لكانوا فاسقين ، وهذا الوصف لا يليق بالأنبياء عليهم السلام ، وإنما يليق بالأمم.

أجاب القفال رحمه الله فقال : لم لا يجوز أن يكون المراد من الآية أن الأنبياء لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ونظيره قوله تعالى : "لئن أشركت ليحبطن عملك" ، وقد علم الله تبارك وتعالى أنه يشرك فقط، ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض ، وكذا ههنا.

وقال : "لو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين"[١] ، وقال في صفة الملائكة : "ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين"[٢] ، مع أنه تعالى أخبر عنهم بأنهم لا يسبقونه ، وبأنهم يخافون ربهم من فوقهم ، فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير ، فكذا ههنا ، ونقول : إنه سماهم فاسقين على تقدير التولي ، وإن اسم الفسق ليس أقبح من اسم الشرك ، وقد ذكر تعالى ذلك على سبيل الفرض والتقدير في قوله تعالى : "لئن أشركت يحبطن عملك" فكذا ههنا.

الحجة الثانية : أن المقصود من هذه الآية أن يؤمن الذين كانوا في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإذ كان الميثاق مأخوذا عليهم كان ذلك أبلغ في تحصيل هذا المقصود من أن يكون مأخوذا على الأنبياء عليهم السلام ، أعلى وأشرف من درجات الأمم ، فإذا دلت هذه الآية على أن الله تعالى أوجب على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو كانوا أحياء ، وأنهم لو تركوا ذلك لصاروا من زمرة الفاسقين فلأن يكون الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على أممهم لو كان ذلك أولى ، فكان صرف هذا الميثاق إلى الأنبياء أقوى في تحصيل المطلوب من هذا الوجه.

الحجة الثالثة : ما روي عن ابن عباس : أنه قيل له : إن أصحاب عبد الله يقرؤون : "وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب" ، ونحن نقرأ "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين" ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : "إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم.

الحجة الرابعة : أن هذا الاحتمال متأكد بقوله عز وجل : "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم" ، وبقوله تعالى : "وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه"[٣] ، فهذا جملة ما قيل في هذا الموضوع.

---

[١] سورة الحاقة : ٤٤-٤٦
[٢] سورة الأنبياء : ٢٩
[٣] سورة آل عمران : ١٨٧

يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما أتى الله أحدهم من كتاب وحكمة ، وبلغ أي مبلغ ، ثم جاءه رسول من بعده ليؤمنن به ، ولينصرنه ، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته ، ولهذا قال الله عز وجل : "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة" أي : لمهما أعطيتكم من كتاب وحكمة "ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري"

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، والسدي يعني : عهدي.[١]

وقال محمد بن إسحاق : "إصري" ، أي : ثقل ما حملتم من عهدي ، يعني : ميثاق الشديد المؤكد.

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا سفيان، عن جابر، عن الشعبي، عن عبد الله بن ثابت، قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة، فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عبد الله: فقلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا، قال: فسري عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: " والذي نفسي بيده، لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه، وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين "[٢]

وفي بعض الأحاديث : "لو موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي" ، محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد ، لكان هو الواجب طاعته المقدم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس ، وكذلك هو الشفيع في المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده ، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له ، والذي يحيد عنه أولوا العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهي النوبة إليه ، فيكون هو المخصوص به.

---

[١] قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عنه
[٢] أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٢٦٥/٤ ، ٢٦٢)

الفصل الثالث : الرسالة العامة

كان الأنبياء والرسل السابقون عليهم الصلاة والسلام يرسلون إلى أقوامهم خاصة ، كما قال تعالى : "لقد أرسلنا نوحا إلى قومه"[١] ، "وإلى عاد أخاهم هودا"[٢] ، وإلى ثمود أخاهم صالحا"[٣]، "ولوطا إذ قال لقومه"[٤] ، "وإلى مدين أخاهم شعيبا"[٥] ، وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فرسالته عامة لجميع لناس عربهم وعجمهم وإنسهم وجنهم. وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم.

قال العز بن عبد السلام "من خصائصه : أنه تعالى أرسل كل نبي إلى قومه خاصة ، وأرسل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الجن والإنس ، ولكل نبي من الأنبياء ثواب تبليغه إلى أمته ، ولنبينا ثواب التبليغ إلى كل من أرسل إليه ، تارة لمباشرة البلاغ ، وتارة بالنسبة إليه ، ولذا تمنن عليه بقوله عز وجل "ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا"[٦].

ووجه التمنن : أنه لو بعث في كل قرية نذيرا لما حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أجر إنذاره لأهل قريته.

وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تشير إلى هذه الخصوصية :

قال تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[٧]

وقال أيضا : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[٨]

وقال أيضا : {قُلْ يَاأَيُّهَاالنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}[٩]

وقال أيضا : {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[١٠]

وقال أيضا : {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ}[١١]

---

[١] سورة الأعراف ٥٩
[٢] سورة الأعراف ٦٥
[٣] سورة الأعراف ٧٣
[٤] سورة الأعراف ٨٠
[٥] سورة الأعراف ٨٠
[٦] سورة الفرقان ٥١
[٧] سورة سبأ ٢٨
[٨] سورة الأنبياء ١٠٧
[٩] سورة الأعراف ١٥٨
[١٠] سورة الفرقان ١
[١١] سورة الأحقاف ٢٩

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة»[١]

أحمر وأسود : أراد بذلك جميع العالم ، فالأسود هم الحبوش والزنوج وغيرهم ، والأحمر هو الأبيض ، والعرب تسمي الأبيض أحمر.

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ، ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار"[٢]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على الأنبياء عليهم السلام وعلى أهل السماء ، فقالوا: ياابن عباس بم فضله على أهل السماء ؟ قال : إن الله قال لأهل السماء {وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}الآية. وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}[٣] قالوا فما فضله على الأنبياء عليهم السلام ؟ قال قال: الله عزوجل: {ومأأرسلنا من رسول إلا إلا بلسان قومه ليبين لهم}[٤]الآية. وقال الله عزوجل لمحمد صلى الله عليه وسلم {وما أرسلناك إلا كافة للناس}[٥] فأرسله إلى الجن والإنس".

أبان الله وجود صفات النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، وذكر أن من يتبعه فله سعادة الدنيا والآخرة. وأوضح مزية الرسالة الإسلامية ، وهي أنها عامة شاملة ، وأن بعثته صلى الله عليه وسلم للناس كافة ، يدعو فيها إلى الإيمان به وبرسالته ، وأن كل من يتبعه تشمله تلك السعادة.

محمد صلى الله عليه وسلم لجميع البشر من عرب وغيرهم ، بيض أو سود : "إني رسول الله إليكم جميعا" (لا إلى قومي العرب خاصة) وإلى كل وقت وزمن إلى يوم القيامة ، وهذا يقتضي أن يكون مبعوثا إلى جميع الناس ، كما قال الله تعالى : {وَمَاأَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[٦] وقال : {وَمَاأَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ، وقال : {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا

---

[١] رواه مسلم برقم ٥٢١
[٢] رواه مسلم برقم ١٥٣
[٣] سورة الفتح : ٢
[٤] سورة إبراهيم : ٤
[٥] سورة السبأ : ٢٨
[٦] سورة الأنبياء : ١٠٧

الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}[1] ، أي : وأنذر كل من بلغه ، ومطلع سورة الفرقان يؤكد عالمية الرسالة.

الآيات القرآنية دلت على أن محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى جميع الخلق ، وأن رسالته عامة للناس أجمعين ، بل لكل العالمين من الجن والإنس.

والمراد بالناس : هم المكلفون ، أي : البالغون العقلاء ، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن علي وعمر : "رفع القلم عن ثلاث : عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق" ، والمقصود بالناس أيضا كل من وصل إليه خبر وجوده ، وخبر معجزاته وشرائعه ، وقل أن تجد قوما لم يبلغهم خبر ظهور محمد صلى الله عليه وسلم.

ودلت أيضا على ما يثبت كونه رسولا إلى الناس جميعا هو أنه مرسل من خالق العالم المتصف بالحياة والعلم والقدرة والواحدانية ، والمنزه عن الشريك والوالد والولد ، القادر على الحشر والنشر ، والبعث والقيامة ، مالك السماوات والأرضين ، المتصرف في الكون كيفما يشاء ، وأن الخلق كلهم عبيده ، وهو المنعم عليهم بأعظم النعم ، وأنه المجازي لهم بعد موتهم مما يقتضي تكليف الخلق بما يريد.

وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلى الله عليه وسلم إلى جميع البشر ، كما دل عليه القرآن والسنة ، منها قوله تعالى : " {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} ، ومنها أيضا : {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}

وفي الصحيحين وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة : أنه صلى الله عليه وسلم بعث كتبه يدعو إلى الله ملوك الآفاق وطوائف بني آدم ، من عربهم وعجمهم ، كتابيهم ومشركيهم امتثالا لأمر الله بذلك.

وروى مسلم وعبد الرزاق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ، ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار "

وقال في الحديث الثابت : "بعثت إلى الأحمر والأسود" ، وقال فيما رواه الشيخان والنسائي عن جابر : "كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة"

[1] سورة الأنعام : ١٩

وروى البخاري عن أنس : أن غلاما يهوديا كان يضع للنبي صلى الله عليه وسلم وضوءه ، ويناوله نعليه ، فمرض ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه ، وأبوه قاعد عند رأسه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "يا فلان! قل لا إله إلا الله " فنظر إلى أبيه ، فسكت أبوه ، فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر إلى أبيه ، فقال أبوه : "أطع أبا القاسم ، فقال الغلام : "أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله" ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهويقول : "الحمد لله الذي أخرجه بي من النار"

وفي وقوله تعالى : "ولمن خاف مقام ربه جنتان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان" دلالة واضحة على أن الله تعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين : الجن ، والإنس ، حيث دعاهم إلى الله عز وجل ، وقرأ عليهم سورة الرحمن التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم.

ولا فرق في الثواب واعقاب والأوامر والنواهي واستحقاق الجنة والنار بين الجن والإنس ، لأن التكليف واحد ، ولأن عموم آيات خطاب الفريقين يشمل كلا منهما.

وإن في الإنس من آمن ، ومنهم من كفر ، أرفه هنا ببيان أن الجن أيضا فيهم من آمن ، وفيهم من كفر ، وأن مؤمنهم معرض للثواب ، وكافرهم معرض للعقاب ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسل إلى الجن والإنس معا.

وهناك روايات كثيرة دالة على لقاء النبي صلى الله عليه وسلم بالجن وتبليغهم رسالته وتلاوته للقرآن الكريم ، ومنها ما أخرجه أحمد ومسلم في صحيحه عن علقمة قال : " أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: لا ولكنا كنا مع رسول الله ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب. فقلنا: استطير أو اغتيل. قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء. قال: فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم "

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "دبت الليلة أقرأ على الجن واقفا بالحجون"

وأما ما رواه البخاري ومسلم عن مسروق قال : "سألت ابن مسعود من آذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن قال : آذنته بهم الشجرة" فهو مؤيد لما سبق ، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بهم حال استماعهم حتى آذنته بهم الشجرة ، أي : أعلمته باجتماعهم

ومنها : خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يذهب إلى الطائف ليدعو أهلها إلى الإسلام ، وليطلب منهم المنعة والنصرة لدعوته ، وأقام فيها عشرة أيام يدعو أشراف أهل الطائف من سادة قبيلة ثقيف ، ولكنهم لم يقبلوا الإسلام واستهزءوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأغروا عبيدهم وسفهاءهم فأخذوا يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى سالت قدماه دما ، وانزوى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حائط قرب الطائف ، ودعا ربه فاستعاذ به ، وشكا إليه حاله راضيا بقضائه ، وعندما بلغ قرن الثعالب –قرن المنازل- أرسل الله ملك الجبال ليستأذنه في إهلاك المشركين ، غير أن نبي الرحمة قال : "بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا

ورجع صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، ولما كان بوادي نخلة قرب مكة صرف الله إليه نفرا من الجن يستمعون القرآن فآمنوا به ، حيث يحكي عنه القرآن : { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ }

والآية دالة على أنه صلى الله عليه وسلم كان مرسلا إلى الجن والإنس ، ودلت روايات السنة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة في الليلة الأولى ، وإنما استمعوا قراءته ثم رجعوا إلى قومهم ، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالا ، قوما بعد قوم ، وفوجا بعد فوج.

دلت هذه القصة على أن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل مبعوث إلى الجن والإنس معا ، وعلى أنهم آمنوا به ، وأنه بعد علمه بهم أرسلهم في الليلة الثانية إلى قومهم.

وهذه تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الجن والإنس معا ، قال مقاتل : ولم يبعث الله نبيا إلى الجن والإنس قبل النبي صلى الله عليه وسلم.

والجن عالم غيب غيرمرية ، يجب أن يؤمن به المسلم ، كما يجب أن يؤمن بأن النبي صلى الله عليه وسلم تلقى الوحي من طريق الملائكة ، وأنه بلغ رسالته إلى الجن ، فبشرهم ، وأنذرهم ، أما كيفية التبليغ فغير معروفة لدينا إلا بطريق الأخبار الدينية السمعية النقلية ، ولا مجال للعقل في ذلك.

وقد جاءت الآيات القرآنية تشير إلى هذه الخصوصية ، ومنها قوله تعالى : {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}[1] حقق في هذه الآية رسالته إلى الخلق بالكلية ، وفي هذه الآية مسألتان :

المسألة الأولى : هذه الآية تدل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى جميع الخلق ، وقالت طائفة من اليهود (يقال لهم : العيسوية ، وهم أتباع عيسى الأصفهاني) : "أن محمدا صلى الله

[1] سورة الأعراف ١٥٨

عليه وسلم صادق مبعوث إلى العرب ، وغير مبعوث إلى بني إسرائيل ، ودليلنا على إبطال قولهم : هذه الآية ، لأن قوله تعالى "ياأيها الناس" خطاب يتناول كل الناس.

ثم قال : "إني رسول الله إليكم جميعا" ، وهذا يقتضي كونه مبعوثا إلى جميع الناس ، وأيضا فما يعلم بالتواتر من دينه أنه كان يدعي أنه مبعوث إلى كل العالمين ، فإما أن يقال أنه كان رسولا حقا ، أو لم يكن ، فإن كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه ، ووجب الجزم بكونه صادقا في كل ما يدعيه ، فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الآية أنه كان يدعي كونه مبعوثا إلى جميع الخلق ، وجب كونه صادقا في هذا القول ، وذلك يبطل قول من يقول : إنه كان مبعوثا إلى العرب فقط ، لا إلى بني إسرائيل.

وأما قول القائل : أنه لم يكن رسولا حقا ، فهذا يقتضي القدح في كونه رسولا إلى العرب وإلى غيرهم ، فثبت أن القول بأنه رسول إلى بعض الخلق دون بعض كلام باطل متناقض.

إذا ثبت هذا فنقول : قوله : "يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا" ، من الناس من قال إنه عام دخله التخصيص ، ومنهم من أنكر ذلك ، أما الأولون فقالوا: إنه دخله التخصيص من وجهين :-

الأول : أنه رسول إلى الناس إذا كانوا من جملة المكلفين ، فأما إذا لم يكونوا من جملة المكلفين لم يكن رسولا إليهم ، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم قال : "رفع القلم عن ثلاث : عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق"[١]

والثاني : أنه صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى كل من وصل إليه خبر وجوده ، وخبر معجزاته وشرائعه ، حتى يمكنه عند ذلك متابعته. أما لو قدرنا حصول قوم في طرف من أطراف العالم لم يبلغهم خبر وجوده ولا خبر معجزاته ، فهم لم يكونوا مكلفين بالإقرار بنبوته ، ومن الناس من أنكر القول بدخول التخصيص في الآية من هذين الوجهين :

أما الأول : فتقريره أن قوله تعالى : "يا أيها الناس" خطاب ، وهذا الخطاب لا يتناول إلا المكلفين ، وإذا كان كذلك فالناس الذين دخلوا تحت قوله : "ياأيها الناس" ليسوا إلا المكلفين من الناس ، وعلى هذا التقدير فلم يلزم أن يقال : إن قوله : "ياأيها الناس" عام دخله التخصيص.

وأما الثاني : فلأنه يبعد جدا أن يقال : حصل في طرف من أطراف الأرض قوم لم يبلغهم خبر ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ، وخبر معجزاته وشرائعه ، وإذا كان ذلك من المستبعد لم يكن بنا حاجة إلى التزام هذا التخصيص.

---

[١] صحيح أخرجه أبو داود ٤٣٩٨ والنسائي ١٤٣٢

المسألة الثانية : هذه الآية – وإن دلت على أن محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى كل الخلق – فليس فيها دلالة على أن غيره من الأبياء عليهم السلام لم يكونوا مبعوثين إلى كل الخلق ، بل يجب الرجوع في أنه هل كان في غيره من الأنبياء من كان مبعوثا إلى كل الخلق أم لا؟ إلى سائر الدليل ، فنقول : تمسك جمع من العلماء في أ أحدا غيره ما كان مبعوثا إلى كل الخلق بقوله صلى الله عليه وسلم : "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، أرسلت إلى الأحمر والأسود ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، ونصرت على عدوي بالرعب يرعب مني مسيرة شهر ، وأطعمت الغنيمة دون من قبلي ، وقيل لي : سل تعطه ، فاختبأتها شفاعة لأمتي"[١]

ولقائل أن يقول : هذا الخبر لا يتناول دلالته على إثبات هذا المطلوب ، لأنه لا يبعد أن يكون المراد مجموع هذه الخمسة من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يحصل لأحد سواه ، ولم يلزم من كون هذا المجموع من خواصه كون أحد من آحاد هذا المجموع من خواصه ، وأيضا قيل : إن آدم عليه السلام كان مبعوثا إلى جميع أولاده ، وعلى هذا التقدير فقد كان مبعوثا إلى جميع الناس ، وإن نوحا عليه السلام لما خرج من السفينة كان مبعوثا إلى الذين كانوا معه ، مع أن جميع الناس في ذلك الزمان ما كان إلا ذلك القوم.

ومنها أيضا قوله عز وجل : "{وَمَاأَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} أي : إلى جميع الخلائق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى : {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}

وفي هذه الآية وجهان : أحدهما : كافة ، أي : إرساله إلى عامة ، لجميع الناس تمنعهم من الرجوع عن الانقياد لها.

والثاني : كافة ، أي : أرسلناك كافة تكف الناس أنت من الكفر.

وقال قتادة رحمه الله في هذه الآية : أرسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب والعجم ، فأكرمهم على الله تعالى ، وأطوعهم لله عز وجل.

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد الله الطهراني ، حدثنا حفص بن عمر العدني،حدثنا الحكم يعني : ابن أبان،عن عكرمة قال: سمعت ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قيل: ما فضله على أهل السماء؟ قال: إن الله قال لأهل السماء: ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم. وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فكتب له براءة من النار، قيل له: فما فضله

[١] أخرجه البخاري برقم ٤٣٨ ، ومسلم برقم ٥٢١

على الأنبياء؟ قال: إن الله تعالى يقول وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم: وما أرسلناك إلا كافة للناس فأرسله إلى الإنس والجن [١].

وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا عبدالصمد ، حدثنا عبدالعزيز بن مسلم ، حدثنا يزيد ، عن مقسم ، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي، ولا أقولهن فخرا: بعثت إلى الناس كافة، الأحمر والأسود، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت الشفاعة، فأخرتها لأمتي، فهي لمن لا يشرك بالله شيئا "[٢]

قال الإمام البخاري رحمه الله في تفسير الآية : {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}: حدثنا عبد الله، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، وموسى بن هارون، قالا: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الله بن العلاء بن زبر، قال: حدثني بسر بن عبيد الله، قال: حدثني أبو إدريس الخولاني، قال: سمعت أبا الدرداء، يقول: كانت بين أبي بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبا، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو الدرداء ونحن عنده: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما صاحبكم هذا فقد غامر» قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هل أنتم تاركون لي صاحبي، هل أنتم تاركون لي صاحبي، إني قلت: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعا، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت ".[٣]

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا بكر بن مضر، عن ابن الهاد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه، حتى إذا صلى وانصرف إليهم، فقال لهم: " لقد أعطيت الليلة خمسا، ما أعطيهن أحد قبلي: أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة، وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه، ونصرت على العدو بالرعب، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لملئ منه رعبا، وأحلت لي الغنائم آكلها، وكان من قبلي يعظمون أكلها، كانوا يحرقونها، وجعلت لي الأرض مساجد وطهورا، أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت، وكان من قبلي يعظمون ذلك،

---

[١] سنده ضعيف ، لضعف حفص بن عمر العدني ، ويشهد له حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه

[٢] أخرجه الإمام أحمد بسند ومتنه (المسند ٤ / ٤٧٢ ، ح ٢٧٤٣)

[٣] أخرجه البخاري بسنده ومتنه (الصحيح ، التفسير ، باب (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا : الأعراف ١٥٨) الحديث ٤٦٤٠)

إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم، والخامسة هي ما هي، قيل لي: سل فإن كل نبي قد سأل، فأخرت مسألتي إلى يوم القيامة، فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله "[١]

وقال أيضا : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة"[٢] ، وهذا الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر : "عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والذي نفس محمد بيده ، لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ، ولانصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار"[٣]

وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا حسين بن محمد، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أعطيت خمسا: بعثت إلى الأحمر، والأسود، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي، ونصرت بالرعب شهرا، وأعطيت الشفاعة وليس من نبي إلا وقد سأل شفاعة، وإني اختبأت شفاعتي، ثم جعلتها لمن مات من أمتي لم يشرك بالله شيئا "[٤]

وله مثل في حديث ابن عمر بسند جيد أيضا ، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين أيضا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة "[٥]

وإنه خاتم النبيين ، وإنه مبعوث إلى الأحمر والأسود والعربي والعجمي ، وإلى الناس كافة ، قال مجاهد رحمه الله : يعني : الجن والإنس ، وقال غيره : يعني : العرب والعجم ، والكل صحيح. كما قال الله عز وجل : { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } ، وقال ايضا : {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} ، وقال تعالى : {وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ} ، وقال أيضا : {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}، وقال : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ، وقال أيضا : {وَمَاأَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ

---

[١] أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٦٣٩/١١ ، ح ٧٠٦٨)
[٢] أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٣٠٥؛٣٢ ، ح ١٩٥٣٦)
[٣] أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ، وليس عن أبي موسى الأشعري (الصحيح ، الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ح ١٥٣)
[٤] أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤ / ٤١٦) ، وصحح سنده الحافظ ابن كثير
[٥] صحيح البخاري ، كتاب التيمم (ح ٣٣٥) ، وصحيح مسلم ، المساجد (ح ٥٢١)

لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} ، والآيات في هذا كثيرة كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر ، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى الناس كلهم.

الفصل الرابع : حماية كتابه من التحريف والتبديل وجعله من المعجزات

أعطى الله تبارك وتعالى كل نبي من الأنبياء عليهم السلام من الآيات والمعجزات الدالة على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم ، وهذه المعجزات كانت وقتية انقرض زمانها في حياتهم ، ولم يبق منها إلا الخبر عنها.

وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكانت معجزته العظمى التي اختص بها دون غيره هي القرآن العظيم ، الحجة المستمرة الدائمة القائمة في زمانه وبعده إلى يوم القيامة ، كتاب خالد لا ينضب معينه ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا تنتهي فوائده محفوظ بحفظ الله تعالى من التغيير والتبديل والتحريف.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله : "ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن معجزة كل نبي تصرمت وانقرضت ومعجزة سيد الأولين والآخرين – وهي القرآن العظيم – باقية إلى يوم القيامة."

وقال : "ومنها حفظ كتابه ، فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يزيدوا فيه كلمة أو ينقصوا منه لعجزوا عن ذلك ، ولا يخفى ما وقع من التبديل في التوراة والإنجيل.

ومن أدلة هذه الخصوصية :

قوله تعالى : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، وقوله تعالى : {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} ، وقوله تعالى : {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}

عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»

ووجه الدلالة في الحديث : يبينه الحافظ ابن حجر العسقلاني بقوله :" رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته وعموم نفعه لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون فعم نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن سيوجد فحسن ترتيب الرجوى المذكورة على ذلك وهذه الرجوى قد تحققت فإنه أكثر الأنبياء تبعا "

وعن يحيى بن أكثم يقول: كان للمأمون – وهو أمير إذذاك - مجلس نظر ، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة ، قال : فتكلم فأحسن الكلام والعبارة ، قال : فلما أنتقوض المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال نعم. قال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع ، ووعده. فقال: ديني ودين آبائي! وانصرف. قال : فلما كان بعد سنة جاءنا مسلما ، قال: فتكلم على

الفقه فأحسن الكلام ،فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال: ألست صاحبنا بالأمس ؟ قال له: بلى. قال: فما كان سبب إسلامك ؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان ، وأنت تراني حسن الخط ، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني ، وعمدت إلى الإنجيل فكتب ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني ، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت ،وأدخلتها الوراقين فتصفحوها ، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقص ان رموا بها فلم يشتروها ،فعلمت أن هذا كتاب محفوظ ، فكان هذا سبب إسلامي. قال يحيى بن أكثم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عزوجل. قال قلت: في أي موضع ؟ قال : فيقول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل:" بما استحفظوا من كتاب الله" ، فجعل حفظه إليهم فضاع،وقال عزوجل:" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" فحفظها الله عزوجل علينا فلم يضع.

أن المعجزة التي تحديت بها الوحي الذي أنزل عليه ، وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح ، وليس المراد حصر معجزاته فيه ، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه ، بل المراد أنها العظمى التي اختص بها دون غيره ، لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه ، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه ، كما كان السحر فاشيا عند فرعون ، فجاءه موسى عليه السلام بالعصا على صورة ما يصنع السحرة ، لكنها تلفقت ما صنعوا ، ولم يقع ذلك بعينه لغيره ، وكذلك إحياء عيسى عليه السلام الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء والحكماء في ذلك الزمان في غاية الظهور ، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه.

ولهذا كان العرب الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم في الغاية في البلاغة ، جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ، فلم يقدروا على ذلك ، وقيل : المراد أن القرآن ليس له مثل لا صورة ولا حقيقة ، بخلاف غيره من المعجزات ، فإنه لا تخلو عن مثله ، وقيل : المراد أن كل نبي أعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله صورة أو حقيقة ، والقرآن لم يؤت أحد قبله مثله.

وأنما هو كلام معجز لا يقدر أحد أن يأتي بما يتخيل منه التشبيه به ، بخلاف غيره ، فإنه قد يقع في معجزاتهم ما يقدر الساحر أن يخيل مثله ، فيحتاج من يميز بينهما إلى نظر ، والنظر عرضة للخطأ ، وقد يخطئ الناظر فيظن تساويهما ، وقيل : المراد : أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدوها إلا من حضرها ، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة ، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات ، فلا يمر عصر عن الأعصار إلا ويظهر فيه شيئ مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه ، وهذا أقوى المحتملات ، وتكميله في الذي بعده ، وقيل : المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار ، كناقة صالح ، وعصا موسى عليهما

السلام ، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة ، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر ، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده ، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا.

وكثيرا ما يحاول الأعداء من المستشرقين والمعرضين من أصحاب الملل الأخرى منذ بداية الإسلام أن ينالوا من القرآن الكريم ، ويثيرون تساؤلات ظاهرها استفسار واستهداء ، وباطنها تشكيك المسلمين وتضليلهم ، مما يتطلب ممن يدرس ويبحث في القرآن العظيم أن يتحرى الصحيح الثابت بالتحقيق والتنقيب ، وأن يكون على حذر وتيقظ من مثل هذه الدعايات ، والافتراءات.

وقد حرص الجاهليون قديما وحديثا على إثارة الشبه في القرآن عتوا واستكبارا ، وهي شبه واهية مردودة.

١. زعموا أن القرآن الكريم من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، ابتكر معانيه ، وساغ أسلوبه ، وليس وحيا يوحى.
وهذا زعم باطل ، فإنه عليه الصلاة والسلام إذا كان يدعي لنفسه الزعامة ، ويتحدى الناس بالمعجزات لتأييد زعامته فلا مصلحة له في أن ينسب ما يتحدى به الناس إلى غيره ، وكان في استطاعته أن ينسب القرآن لنفسه ، ويكون ذلك كافيا لرفعة شأنه ، والتسليم بزعامته ما دام العرب جميعا على فصحاتهم قد عجزوا عن معارضته ، بل ربما كان هذا أدعى للتسليم المطلق بزعامته لأنه واحد منهم أتى بما لم يستطيعوه.
وهذا الادعاء يفترض في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان من اولئك الزعماء الذين يعبرون الطريق في الوصول إلى غايتهم على قنطرة من الكذب والتمويه ، وهو افتراض يأباه الواقع التاريخي في سيرته صلى الله عليه وسلم ، وما اشتهر به من صدق وأمانة شهد له بهما أعداءه قبل أصدقائه.
ومعاتبته في توليه عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنه اهتماما بنفر في أكابر قريش في دعوتهم إلى الإسلام { عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١)} [عبس: ١ - ١١]
ولقد اتهم المنافقون زوجه عائشة رضي الله عنها بحديث الإفك ، واتهامها يمس كرامته وشرفه، وأبطأ الوحي ، وتحرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحرج صحابته رضي الله عنهم معه حتى بلغت القلوب الحناجر ، وبذل جهده في التحري والاستشارة ، ومضى شهر بأكمله ، ولم يزد على أنه قال لها آخر الأمر : "أما إنه قد بلغني كذا ، وكذا ، فإن كنت برئية فسيبرئك

الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري " ، وظل هكذا إلى أن أنزل الوحي ببراءتها ، فماذا كان يمنعه لو أن القرآن كلامه من أن بقول كلاما يقطع به ألسنة المتخرصين ، ويحمي عرضه ؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. قال تعالى : "{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ } [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]

وصاحب هذه الصفات العظيمة التي يتوجها الصدق ما ينبغي لأحد أن يمتري في قوله حينما أعلن نفسه بأنه ليس واضع ذلك الكتاب {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} [يونس: ١٥]

٢. وزعم الجاهليون قديما وحديثا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد تلقى العلوم القرآنية على يد معلم.

وهذا حق ، إلا أن المعلم الذي تلقى عنه القرآن هو ملك الوحي ، أما أن يكون له معلم آخر من قومه ، أو من غير قومه فلا.

إنه صلى الله عليه وسلم قد نشأ أميا ، وعاش أميا ، في أمة أمية لم يعرف فيها أحد وسام العلم والتعليم ، وهذا واقع يشهد به التاريخ ، ولا مرية فيه.

أما أن يكون له معلم من غير قومه فإن الباحث لا يستطيع أن يقع في التاريخ على كلمة واحدة تشهد بأنه لقي أحدا من العلماء حدثه عن الدين قبل إعلان نبوته.

حقيقة إنه صلى الله عليه وسلم رآى في طفولته بحيرى الراهب في سوق بصورى بالشام ، ولقي في مكة ورقة بن نوفل إثر مجيئ الوحي ، ولقي بعد الهجرة علماء من اليهود والنصارى ، ولكن المقطوع به أنه لم يتلق عن أحد من هؤلاء شيئا من الأحاديث قبل نبوته ، أما بعد النبوة فقد كانوا يسألونه مجالدين فيستفيدون منه ، ويأخذون عنه ، ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ شيئا عن واحد منهم لما سكت التاريخ عنه ، لأنه ليس من الهينات التي يتغاضى عنها الناس ، لاسيما الذين يقفون للإسلام بالمرصاد ، والكلمات التي ذكرها التاريخ عن راهب الشام أو ورقة بن نوفل كانت بشارة بنبوته صلى الله عليه وسلم أو اعترافا بها.

وقد استغل بعض المعاصرين من أعداء الإسلام حادثة لقائه صلى الله عليه وسلم ببحيرى ، وبورقة بن نوفل لافتراء دعاية تشوه هوية الإسلام ، وتخيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلم القرآن وأخذه من هؤلاء الأحبار ، ويظهر بطلان هذا الافتراض المستبعد والتخمين غير المعقول لمن يتأمل بقلب سليم في بينة هذه اللقاءات من حيث قصر المدة ، وما هي إلا دقائق أو ساعات ، واختلاف اللغة بالنسبة إلى الراهب بحيرى ، إضافة إلى أن القرآن بلسان عربي مبين يصرح بأمور تخالف مزاعم لأهل الكتاب ، ويحتوي على علوم ومعلومات لا يكاد يدركها عقل إنسان مهما كان عبقريا.

ولقد كان العرب أحرص الناس على دفع هذا القرآن إمعانا في خصومة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم عجزوا ووجدوا السبيل أمامهم مغلقة ، وباءت كل محاولاتهم بالفشل ، فما للملحدين اليوم ! وقد مضى أربعة عشر قرنا على ذلك يبحثون في قمامات التاريخ ملتمسين سبيلا من تلك السبل الفاشبة نفسها !

وبهذا يتبين أن القرآن الكريم لا يوجد له مصدر إنساني ، لا في نفس صاحبه ولا عند أحد من البشر ، فهو تنزيل الحكيم الحميد.

ونشأة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيئة أمية جاهلية وسيرته بين قومه من أقوى الدلائل على أن الله تعالى قد أعده لحمل رسالته ، وأوحى إليه بهذا القرآن الكريم هداية لأمته : وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ

يقول الأستاذ محمد عبده في رسالة التوحيد : "أن يتيما فقيرا أميا مثله تنطبع نفسه بما تراه من أول نشأته إلى زمن كهولته ، ويأثر عقله بما يسمعه ممن يخالطه ، لاسيما إذا كان من ذوي قرابته وأهل عصبته ، ولا كتاب يرشده ، ولا أستاذ ينبهه ، ولا عصب إذا عزم يؤيده ، فلو جرى الأمر فيه على جاري السنن لنشأ مجال ، فيرجع إلى مخالفتهم إذا قام له الدليل على خلاف ضلالتهم ، كما فعل القليل ممن كانوا على عهده"

٣. وزعم الجاهلون قديما وحديثا أنه صلى الله عليه وسلم كان له حدة الذكاء ونفاذ البصيرة ، وقوة الفراسة ، وشدة الفطنة وصفاء النفس وصدق التأمل مما يجعله يدرك مقاييس الخير والشر والحق والباطل بالإلهام ، ويتعرف على خفايا الأمور بالكشف والوحي النفسي ، ولا يخرج القرآن عن أن يكون أثرا للاستنباط العقلي والإدراك الوجداني عبر عنه محمد صلى الله عليه وسلم بأسلوبه وبيانه.

وأي شيئ في القرآن يعتمد على الذكاء والاستنباط والشعور؟

فالجانب الإخباري – وهو قسم كبير من القرآن – لا يماري عاقل في أنه لا يعتمد إلا على التلقي والتعلم

لقد ذكر القرآن الكريم أنباء من سبق من الأمم والجماعات والأنبياء والأحداث التاريخية بوقائعها الصحيحة الدقيقة كما يذكر شاهد العيان مع طول الزمن الذي يضرب في أغرار التاريخ إلى نشأة الكون الأولى بما لا يدع مجالا لإعمال الفكر ودقة الفراسة ، ولم يعاصر محمد صلى الله عليه وسلم تلك الأمم ، وهذه الأحداث في قرونها المختلفة حتى يشهد وقائعها ، وينقل أنباءها ، كما لم يتوارث كتبها ليدرس دقائقها ، ويروي أخبارها ، {مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ , وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} [القصص: ٤٤، ٤٥] ، {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا

أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا} [هود: ٤٩] ، {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ } [يوسف: ٣] ، {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} [آلعمران: ٤٤]

ومنها أنباء دقيقة تتناول الأرقام الحسابية التي لا يعلمها إلا الدارس البصير ، ففي قصة نوح : {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } [العنكبوت: ١٤] ، وهذا موافق لما جاء في سفر التكوين من التوراة ، وفي قصة أصحاب الكهف : {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} [الكهف: ٢٥]

وهي عند أهل الكتاب ثلاثمائة سنة شمسية ، والسنون التسع هي فرق ما بين عدد السنين الشمسية والقمرية.

فمن أين أتى محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الدقائق الصحيحة لو لم يكن يوحى إليه ، وهو الرجل الأمي الذي عاش في أمة أمية ، لا تكتب ولا تحسب !!

وقد كان أهل الجاهلية الأولى أزكى من ملاحدة الجاهلية المعاصرة ، فإن أولئك لم يقولوا إن محمدا استقى هذه الأخبار من وحي نفسه ، كما يقول هؤلاء ، بل قالوا : إنه درسها وأمليت عليه : {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفرقان: ٥] ولم يتبق رسول الله صلى الله عليه وسلم درسا على معلم قط ، فمن أين جاءته هذه الأنباء فجأة بعد أن بلغ الأربعين {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٤]

أما في سائر العلوم التي تضمنها القرآن فإن قسم العقائد يتناول كذلك أمورا تفصيلية عن بدء الخلق ونهايته والحياة والآخرة وما فيها من الجنة ونعيمها ، والنار وعذابها ، وما يتبع ذلك من الملائكة وأوصافهم ووظائفهم ، وهذه معلومات لا مجال فيها لذكاء العقل وقوة الفراسة البتة ، { وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا } [المدثر: ٣١] ، {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس: ٣٧]

أضف إلى هذا أن القرآن الكريم قد حكى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتباعه للوحي { وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي} [الأعراف: ٢٠٣] ، أنه بشر لا يعلم الغيب ، ولا يملك من أمر نفسه شيئا :{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الكهف: ١١٠] ، {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: ١٨٨]

وقد كان صلى الله عليه وسلم عاجزا عن إدراك حقيقة ما وقع بين خصمين شاهدين أمامه ليقضي بينهما ، وهو يسمع أقوالهما ، فهو بلا شك أشد عجزا عن إدراك ما فات ، وما هو آت : "سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم خصومة بباب حجرته ، فخرج إليهم فقال : إنما أنا بشر ، وإنكم

تختصمون إلي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وأقضي له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلايأخذ ، فإنما أقطع له قطعة من النار ، فليأخذها ، أو ليتركها"
قال الدكتور محمد عبد الله دراز : "هذا الرأي هو الذي يروجه الملحدون اليوم باسم "الوحي النفسي" زاعمين أنهم بهذه التسمية قد جاؤونا برأي علمي جديد ، وما هو بجديد ، وإنما هو الرأي الجاهلي القديم ، لا يختلف عنه في جملته ولا في تفصيله ، فقد صوروا النبي صلى الله عليه وسلم رجلا ذا خيال واسع وإحساس عميق ، فهو إذن شاعر ، ثم ازدادوا فجعلوا وجدانه يطغى كثيرا على حواسه حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصا يكلمه ، وما ذاك الذي يراه ويسمع إلا صورة أخيلته ووجداناته ، فهو إذن الجنون ، أو أضغاث الأحلام.
وهذا القرآن هو باق محفوظ لا يندثر ، ولا يتبدل ، ولا يلتبس بالباطل ، ولا يمسه التحريف ، وهو يقودهم إلى احق برعاية الله وحفظه ، إن كانوا يطلبون الملائكة للتثبت ، إن الله لا يريد أن ينزل عليهم الملائكة ، لأنه أراد بهم الخير ، فنزل لهم الذكر المحفوظ ، لا ملائكة الهلاك والتدمير.
ونحن ننظر اليوم من وراء القرون إلى وعد الله الحق بحفظ هذا الذكر ، فنرى فيه المعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب – إلى جانب غيرها من الشواهد الكثيرة – ونرى أن الأحوال والظروف والملابسات والعوامل التي تقلبت على هذا الكتاب في خلال هذه القرون ما كان يمكن أن تتركه مصونا محفوظا لا تتبدل فيه كلمة ، ولا تحرف فيه جملة لولا أن هنالك قدرة خارجة عن إدارة البشر ، أكبر من الأحوال والظروف والملابسات والعوامل ، تحفظ هذا الكتاب من التغيير والتبديل، وتصونه من العبث والتحريف.
لقد جاء على هذا القرآن زمان في أيام الفتن الأولى كثرت فيه الفرق ، وكثر فيه النزاع ، وطمت فيه الفتن ، وتماوجت فيه الأحداث ، وراحت كل فرقة تبحث لها عن سند في هذا القرآن ، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل في هذه الفتن وساقها أعداء الدين الأصلاء من اليهود خاصة، ثم من القوميين – دعاة القومية – الذين تسموا بالشعوبيين.
ولقد أدخلت هذه الفرق على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احتاج إلى جهود عشرات العلماء الأتقياء الأذكياء ، عشرات من السنين لتحرير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغربلتها وتنقيتها من كل دخيل عليها من كيد أولئك الكائدين لهذا الدين.
كما استطاعت هذه الفرق في تلك الفتن أن تؤول معاني النصوص القرآنية ، وأن تحاول أن تلوي هذه النصوص لتشهد لها بما تريد تقريره من الأحكام والاتجاهات.
ولكنها عجزت جميعا ، وفي أشد أوقات الفتن حلوكة واضطرابا أن تحدث حدثا واحدا في نصوص هذا الكتاب المحفوظ ، وبقيت نصوصه كما أنزل الله حجة باقية على كل محرف وكل مؤول ؛ وحجة باقية كذلك على ربانية هذا الذكر المحفوظ

ثم جاء على المسلمين زمان – ما نزال نعانيه – ضعفوا فيه عن حماية أنفسهم ، وعن حماية عقيدتهم ، وعن حماية نظامهم ، وعن حماية أرضهم ، وعن حماية أعراضهم وأموالهم وأخلاقهم ، وحتى عن حماية عقولهم وإدراكهم ! وغير عليهم أعداؤهم الغالبون كل معروف عندهم ، وأحلوا مكانه كل منكر فيهم ، كل منكر من العقائد والتصورات ومن القيم والموازين ، ومن الأخلاق والعادات ، ومن الأنظمة والقوانين ، وزينوا لهم الانحلال والفساد والتوقح والتعري من كل خصائص الإنسان وردوهم إلى حياة كحياة الحيوان ، وأحيانا إلى حياة يشمئز منها الحيوان ، ووضعوا لهم ذلك الشر كله تحت عناوين براقة من "التقدم" ، و"التطور" ، و"العلمانية" ، و"العلمية" ، و"الانطلاق" ، و"التحرر" ، و"تحطيم الأغلال" ، و"الثورية" و "التجديد" إلى آخر تلك الشعارات والعناوين ، أصبح المسلمون بالأسماء وحدها مسلمين ، ليس لهم من هذا الدين قليل ولا كثير.

وباتوا غثاء كغثاء السيل لا يمنع ولا يدفع ولا يصلح لشيئ إلا أن يكون وقودا للنار ، وهو وقود هزيل.

ولكن أعداء هذا الدين – بعد هذا كله – لم يستطيعوا تبديل نصوص هذا الكتاب ولا تحريفها. ولم يكونوا في هذا من الزاهدين ، فلقد كانوا أحرص الناس على بلوغ هذا الهدف لو كان يبلغ ، وعلى نيل هذه الأمنية لو كانت تنال. !

ولقد بذل أعداء هذا الدين – وفي مقدمتهم اليهود – رصيدهم من تجارب أربعة آلاف سنة أو تزيد في الكيد لدين الله ، وقدروا على أشياء كثيرة ، قدروا على الدس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى تاريخ الأمة المسلمة ، وقدروا على تزوير الأحداث ودس الأشخاص في جسم المجتمع المسلم ليؤدوا الأدوار التي يعجزون عن أدائها وهو سافرون ، وقدروا على تحطيم الدول والمجتمعات والأنظمة والقوانين ، وقدروا على تقديم عملائهم الخونة في صورة الأبطال الأمجاد ليقوموا لهم بأعمال الهدم والتدمير في أجسام المجتمعات الإسلامية على مدار القرون ، وبخاصة في العصر الحديث.

ولكنهم لم يقدروا على شيئ واحد ، والظروف الظاهرة كلها مهيأة له ، لم يقدروا على إحداث شيئ في هذا الكتاب المحفوظ ، الذي لا حماية لهم من أهله المنتسبين إليه ، وهم بعد أن نبذوه وراء ظهورهم غثاء كغثاء السيل لا يدفع ولا يمنع ، فدل هذا مرة أخرى على ربانية هذا الكتاب ، وشهدت هذه المعجزة الباهرة بأنه حقا تنزيل من عزيز حكيم.

لقد كان هذا الوعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجرد وعد ، أما هو اليوم من وراء كل تلك الأحداث الضخام ، ومن وراء كل تلك القرون الطوال ، فهو المعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب والتي لا يماري فيها إلا عنيد جهول.

الباب الرابع :المناكحات ، وفيه خمسة فصول

الفصل الأول :النكاح بلفظ الهبة

عني الإسلام عناية كبيرة بالأسرة هي أساس كبان المجتمع الإسلامي ومن مجموعها يتكون المجتمع ويترتب على ذلك أن الأسرة إذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع وحيث إن الزواج هو السبيل المشروع لتكوين الأسرة وبقاء الجنس البشري، فقد رغب فيه الإسلام وحث عليه وشرع له أحكاما معينة تشريفا وتكريما لهذه العلاقة علاقة الزواج.

وقد فرق الله تبارك وتعالى رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم عن الأمة ببعض الأشياء تكريما وتشريفا ومنها النكاح بلفظ الهبة .

فيه وجهان:

أحدهما :لا ينعقد كغيره، وأصحهما يصح،لقوله تعالى: **(وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين)**[١]

وعلى هذا لا يجب المهر بالعقد ولا بالدخول كما هو مقتضى الهبة.

وهل يشترط لفظ النكاح من جهته صلى الله عليه وسلم؟ أو يكفي لفظ الإيهاب؟

فيه وجهان:

أحدهما : لا يشترط كما في حق المرأة، وأصحهما في أصل الروضة,[٢] والرافعي يشترط ،قال الرافعي : أنه الأرجح عند الشيخ أبي حامد، لظاهر قوله تعالى:<أن يستنكحها>فاعتبر في جانبه صلى الله عليه وسلم النكاح.

وفي الحاوي للماوردي : إباحة الله تعالى أن يملك نكاح الحرة بلفظ الهبة من غير بذل يذكر مع العقد، ولا يجب من بعد، فيكون مخصوصا به من بين أمته من وجهبن :

أحدهما: أن يملك الحرة بلفظ الهبة، ولا ذلك لغيره من أمته.

والثاني: أن يسقط عنه المهر ابتداء مع العقد،وانتهاء فيها بعد،وغيره من أمته يلزمه المهر فيما بعد.

ورجح الرافعي والنووي اشتراط لفظ النكاح من جهة النبي صلى الله عليه وسلم استدلالا بقوله تبارك وتعالى :**(وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين)**

---

[١].الأحزاب :٥٠.

[٢].روضة الطالبين :٣٥٣/٥، كتاب النكاح، باب في خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح غيره.

وفيه نظر:

لأن الله تعالى لما اشترط إرادة النبي صلى الله عليه وسلم نكاحها،

فلو قال: أردت، كان كافيا،ولفظ الرافعي:هل يشترط لفظ النكاح من جهته وجهان:

أحدهما: لا يشترط كما لا يشترك من جهة الواهبة.

والثاني: نعم، لظاهرقوله عز وجل (**أن يستنكحها**) وهذا أرجح عند الشيخ أبي حامد.

وفيه وجه غريب أنه يجب المهر، والذي خص به انعقاد نكاحه بلفظ الهبة دون معناها.

وقال الماوردي مرة بسقوط المهر، ومرة قال : اختلف أصحابنا في من لم يسم لها مهرا في العقد، هل يلزمه مهر المثل؟

على وجهين:

وجه المنع: أن المقصود منه التوصل إلى ثواب الله عز وجل.

قال:واختلف العلماء هل كانت عنده صلى الله عليه وسلم امرأة موهوبة أم لا؟ من أجل اختلاف القراء فيفتح إن وكسرها من قوله تعالى :(**وهبت نفسها للنبي**)،فعلى الثاني: تكون شرطا مستقبلا،وعلى الأول: تكون خبرا عن ماض.

قال أبو حيان:قرأ الجمهور (**وامرأة مؤمنة**) بالنصب، (**إن وهبت نفسها**) بكسرالهمزة،أي أحللناها لك إن وهبة، إن أراد فهما شرطان.[١]

والثاني في معنى الحال،كأنه شرط في الإحلال هبتها نفسها، وفي الهبة إرادة استنكاح النبي صلى الله عليه وسلم، كأنه قال: أحللناها لك إن وهبت نفسها،وأنت تريد أن تستنكحها، لأن إرادته صلى الله عليه وسلم هي قبول الهبة، وبه تتم وإذا اجتمع شرطان، فالثاني شرط في الأول، متأخر في اللفظ، متقدم في الوقوع ما لم تدل قرينة على الترتيب.

وفي الحاوي للماوردي واختلف في الواهبة، فقيل: إنها أم شريك بنت جابر بن صباب قاله عروة، وقيل: خولة بنت حكيم قالت عائشة، وقيل: غزية، قاله ابن عباس، وقيل زينب بنت خزيمة أم المساكين قاله الشعبي.

وزاد أبو حيان مع ابن عباس قتادة، وقال: في الأول هو قول علي بن الحسين، والضحاك،ومقاتل، وزاد مع الشعبي عروة، وزاد مع عائشة عروة أيضا.

فنلخص في الواهبات من الزوجات ثنتان: هما ميمونة وزينب ومن غيرالزوجات: أم شريك. واختلف في اسم أم شريك، فقيل: عامرية اسمها غرية أو غزيلن وقيل: غفارية،

---

[١].البحر المحيط:٨/٤٩٢-٤٩٣

وقول الماوردي في نسبتها يدل على أنها عامرية، فقال: قيل: إنها أم شريك بنت عوف بن عمرو بن جابر بن سباب.

وقيل: هي بنت وردان بن عوف عمرو بن عامر، وقد قيل أيضا: هي ليلى بنت الخطيم، وقيل: فاطمة بنت شريح.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة: أما تستحي المرأة تهب نفسها للرجل؟ فلما نزلت: ترجي من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء قالت: يا رسول الله! ما أرى ربك إلا يسارع في هواك! وهذا يدل على أن معنى قوله تعالى: ترجي من تشاء منهن أي تؤخر من تشاء من الوهابة، فلا تقبل هبتها، وتؤوي إليك من تشاء أي بقبول هبتها، وقد قيل خلاف ذلك.[١]

وعند القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، أنه صلى الله عليه وسلم إنما خص بإباحة الموهوبة له خاصة، وهو أن يتزوجها بلفظ الهبة، وإباحة النكاح بغير مهر، ولا يستقر عليه إلا بالدخول، وإن هذا مما خص به دون الأنبياء من قبله، ودون أمته، تشريفا له، وتعظيما لشأنه صلى الله عليه وسلم.

قوله:(**وهبن أنفسهن**)من حديث عائشة رضي الله عنها، وهذا ظاهر في أن الواهبة أكثر من واحدة، وحديث سهل بن سعد <**أن امرأة قالت: يا رسول الله، إني وهبت نفسي لك**>وفيه قصة الرجل الذي طلبها قال:(**التمس ولو خاتما من حديد**> ومن حديث أنس <**أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له: إن لي ابنة- فذكرت من جمالها – فآترتك بها،فقال: قد قبلتها، فلم تزل تذكر حتى قالت: لم تصدع قط، فقال: لا حاجة لي في ابنتك**) وأخرجه أحمد أيضا، وهذه امرأة بلا شك.

وعند ابن أبي حاتم من حديث عائشة: التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم هي خولة بنت حكيم.

ومن طريق قتادة عن ابن عباس قال: التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم هي ميمونة بنت الحارث، وهذا منقطع، وأورده من وجه آخر مرسل وإسناده ضعيف، وبعارضه حديث سماك عن عكرمة ابن عباس (**لم يمن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له**) أخرجه الطبري وإسناده حسن، والمراد أنه لم يدخل بواحدة ممن وهبت نفسها له وإن كان مباحا له لأنه راجعا إلى إرادته لقوله تعالى:(**إن أراد النبي أن يستنكحها**) وقد بينت عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث سبب نزول قوله تعالى:(> وأشارت إلى قوله تعالى: (**وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي**) وقوله تعالى:(**قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم**) وروى ابن مردويه من حديث ابن عمر ومن حديث ابن عمر ومن حديث ابن عباس أيضا قال فرض عليهم أن لا نكاح إلا بولي وشاهدين.

---

[١]. فتح الباري : ٢٠٤/٩ كتاب النكاح، باب :هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد؟ (٥١١٣)

وقوله:(**ترجى من تشاء منهن**) أي تؤخر بغير قسم، وهذا قول الجمهور، وأخرجه الطبري عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزين وغيرهم، وأخرج الطبري أيضا عن الشعبي في قوله: (**ترجى من تشاء منهن**) قال: كن نساء وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم، فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن لم ينكحهن، والمخفوظ أنه لم يدخل بأحد من الواهبات.

وقيل المراد بقوله (**ترجى من تشاء منهن وتؤوى من تشاء**) أنه كان هم بطلاق بعضهن، فقلن له تطلقنا واقسم لنا ما شئت، فكان يقسم لبعضهن قسما مستويا، وهن اللاتي أواهن، ويقسم للباقي ما شاء، وهن اللاتي أرجأهن.

فحاصل ما نقل في تأويل(**ترجى**) أقوال: أحدها: تطلق وتمسك،

وثانيها: تعتزل من شئت منهن بغير طلاق وتقسم لغيرها،

وثالثها:تقبل من شئت من الواهبات وترد من شئت، وحديث الباب يؤيد هذا والذي قبله، واللفظ محتمل للأقوال الثلاثة.

وظاهر ما حكته عائشة رضي الله عنها من استئذانه أنه لم يرج أحدا منهن، بمعنى أنه لم يعتزل.وهو قول الزهري (**ما أعلم أنه أرجأ أحدا من نسائه**) أخرجه ابن أبي حاتم، وعن قتادة أطلق له أن يقسم كيف شاء فلم يقسم إلا بالسوية.

الفصل الثاني: تحريم نكاح أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم تحريم نكاح أزواجه من بعده صلى الله عليه وسلم، قال الله تبارك وتعالى: **(وما كان لكم أن تؤدوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما)**[١]، فإن المرأة لآخر أزواجها في الدنيا، فلذلك حرم الله سبحانه وتعالى على أزواجه صلى الله عليه وسلم أن ينكحن بعده، لأنهن أزواجه في الجنة.

ومما قيل في تعليل ذلك: إنهن أمهات المؤمنين، وإن في ذلك غضاضة ينزه عنها عرضه الشريف صلى الله عليه وسلم، ولذلك لما جاء في الحديث أن رجلا اشترط على امرأته بأنه إن مات فإنها لا تتزوج بعده، قال النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه:**<إن ذلك لا ينبغي>** يعني لا ينبغي مثل هذا الاشتراط، فإن تحريم نكاح الأزواج بعد موت أزواجهن إنما هو خاص بأمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن.

ولعل الحكمة هي ما ذكرت من أن هذا فيه غضاضة وأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل:**(وما كان لكم أن تؤدوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما)**، بجانب أن المرأة لآخر أزواجها في الدنيا، فلو قدر أنها تتزوج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسيكون آخر أزواجها غير رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حرم الله تعالى على المسلمين نكاح أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من بعده.

قال الله تعالى:**(وما كان لكم أن تؤدوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما)**

وهذا لم يعجب الفادي المفتري،وأثار اعتراضه واستنكاره، قال **(ولماذا يعطي الحق لجميع الأرامل أن يتزوجن يحرم هذا الحق على نسائه، فيوصي أن لا يتزوجن من بعده أبدا)**

لم يحرم الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين نكاح أزواجه من بعده، والذي حرم ذلك هو الله عز وجل وورد ذلك التحريم في الأية القرآنية الحكيمة.

والله عليم حكيم في ما يشرع من الأحكام، والإنسان يتلقى حكم الله بالقبول والرضا والتسليم واليقن، وحكمة تحريم نكاح أزواجه صلى الله عليه وسلم أنهن أمهات للمؤمنين، أمومة اعتبارية معنوية، تقوم على الاحترام والتكريم والتوقير.

قال الله تعالى:**(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)**

قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن أبي حماد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله عز وجل:**(وما كان لكم أن تؤدوا**

[١].سورة الأحزاب: ٥٣

رسول الله) قال: نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده، قال رجل لسفيان: أهي عائشة؟ قال : قد ذكروا ذلك.

وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم،وذكر بسنده عن السدي إن الذي عزم على ذلك طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه،حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك،ولهذا اجتمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين، وختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته: هل يحل لغيره أن يتزوجها؟ على قولين مأخذهما هل دخلت هذه في عموم قوله تعالى:**<من بعده>** أم لا؟ فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل يها، فما نعلم في حلها لغيره والحالة هذه نزاعا.

وقال ابن جرير: حدثني بن محمد ابن المثني، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا داود، عن عامر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم مات وقد ملك قبلة ابنة الأشعت- يعني : ابن القيس- فتزوجها عكرمة بن أبي جمل بعد ذلك، فشق ذلك على أبي بكر مشقة شديدة، فقال له عمر: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسع إنها ليست من نسائه إنها لم يخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها، وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت مع قومها: قال: فاطمأن أبو بكر رضي الله عنه.[1]

وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك، وشدد فيه وتوعد عليه بقوله:**(إن ذلكم كان عند الله عظيما)**

قال قرطبي: في وجوب التعظيم والمبرةوالإجلال وحرمة النكاح على الرجال عنهن بخلاف الأمهات.

قال ابن جرير الطبري: حرمة أزواجه أمهاتهم عليهم في أنهن يحرم عليهم نكاحهن من بعد وفاته كما يحرم عليهم أمهاتهم.
قال ابن أبي حاتم: أمهاتهم في الحرمة لا يحل لمؤمن أن ينكح امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم في حياته إن طلق ولا بعد موته، هي حرام على كل مؤمن مثل حرمة أمه.

[1].أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده مرسل، أخرجه ابن سعد من طريق داود بن هند دون ذكر عامر الشعبي(الطبقات الكبرى ١٤٧/٨).

الفصل الثالث: إباحة الزواج من غير ولي ولا شهود.

عني الإسلام عناية كبيرة بالأسرة، والأسرة هي أساس كيان المجتمع الإسلامي ومن مجموعها يتكون المجتمع ويترتب على ذلك أن الأسرة إذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع وحيث إن الزواج هو السبيل المشروع لتكوين الأسرة وبقاء الجنس البشري، فقد رغب فيه الإسلام وحث عليه وشرع له أحكاما معينة تشريفا تكريما لهذه العلاقة علاقة الزواج.

ومن هذه الأحكام موافقة ولي المرأة على زواجها وهو شرط لصحة النكاح، قال النبي صلى الله عليه وسلم :(**لا نكاح إلا بولي**)،[١] فعقد النكاح لا يهم المرأة وحدها بل يهم وليها وعائلتها، والضرر الذي يلحقها بسبب سوء اختبارها ينسحب إلى عائلتها وعلى رأسهم وليها كالأب والأخ.

ولهذا فلا بد أن يكون للولي رأي مسموع في زواجها، وكما يشترط في صحة النكاح موافقة ولي المرأة، كذلك يشترط حضور الشهود عند عقد النكاح لكي يعرف العقد ويشيع وتحفظ حقوق المرأة، ويؤمن الجحود. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:<**لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل**>.[٢]

وقد انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمته في هذين الحكمين؛ فأباح الله تعالى له الزواج بغير ولي ولا شهود تشريفا وتكريما لعدم الحاجة إلى ذلك في حقه صلى اللهعليه وسلم.

قال العلماء : إنما اعتبر الولي في نكاح الأمة للمحافظة على الكفاءة، وهو صلى الله عليه وسلم فوق الأكفاء، وإنما اعتبر الشهود لأمن الجهود وهو صلى الله عليه وسلم لا يجهد.

وبرهان هذا الحكم في حقه ما جاء في حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول:(**زوجكن أهليكن وزوجني الله تعلى من فوق سبع سماوات**).[٣]

قال الإمام النووي في شرحه على حديث مسلم: قال أنس بن مالك رضي الله عنه :(**ما أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة من نسائه أكثر أو أفضل مما أولم على زينب**)

قال رحمه الله :(**يحتمل أن سبب ذلك الشكر لنعمة الله في أن الله تعلى زوجه إياها بالوحي لا بولي وشهود بخلاف غيرها، ومذهبنا الصحيح المشهور عند أصحابنا صحة نكاحه صلى الله عليه وسلم بلا ولي ولا شهود لعدم الحاجة إلى ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم**)[٤]

وهل كان يصح نكاحه صلى الله عليه وسلم بغير ولي ولا شهود؟

فيه وجهان:

أحدهما: لا يصح، لما روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(**لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل**) ولم يفرق. ولأن كل ما كان شرطا في نكاح غيره، كان شرطا في نكاحه، كالإيجاب والقبول.

---

[١].رواه الترمذي، وأبو داود (٢٠٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٧٤٣١).

[٢].رواه البيهقي في السنن الكبرى(١٢٥/٧)،والطبراني في الكبير(١٤٢/١٨) وصححه الألباني في إرواء الغليل(٢٥٨/٦-٢٦٠).

[٣].رواه البخاري (٧٤٢٠)

[٤].شرح النووي على صحيح مسلم (٦٣٠،٦٦٩/٩)

والثاني : يصح قال الشيخ أبو حامد : وهو الصحيح، لما روي:(**أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب أم سلمة رضي الله عنها اعتذرت إليه بأشياء، منها: أن قالت: ليس لي ولي حاضر فقال صلى الله عليه وسلم : ليس لك ولي حاضر وغائب، إلا وهو يرضاني، فقالت أم سلمة: قم يا عمر تعني: ابنها، فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم**).

قال الشيخ أبو حامد: وأصحابنا يروون: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:<**يا غلام قم فزوج أمك**> والذي أعرفه هو الأول.

فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم من غير ولي، لأن الابن ليس بولي عندنا، لأن ابنها كان يومئذ صغيرا، ولأن الولي إنما اشترط في النكاح، لئلا تضع المرأة نفسها في غير كفء، واشترط حضور الشهود عند العقد، ليثبتوا الفراش، فيلحق النفس به، إن جحد الزوج وذلك لا يوجد في النبي صلى الله عليه وسلم.

الآية المتأخرة عنها التلاوة، وهي قوله عز وجل:(**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول**)

والذي يدل على أن التحريم نسخ ما روى عن أبي وعائشة رضي الله عنهما: أنهما قالا:(**ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء**) يعني: **اللاتي حظرن عليه**.

وحديث زينب بنت جحش:(**فكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم -إلى قولها- وزوجني الله من فوق سبع سماوات**) أخرجه الإسماعيلي من طريق عارم بن الفضل عن حماد بهذا السند بلفظ < نزلت في زينب بنت جحش:(فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكما>

وزاد الإسماعيلي من طريق الفريابي وأبي قتيبة عن عيسى: <أنتم أنكحن آباؤكم> وهذا الإطلاق محمول على البعض، وإلا فالمحفق أن التي زوجها أبوها منهن عائشة وحفصة فقط، وفي سودة بنت خزيمة وجورية احتمال، وأما أم سلمة وأم حبيبة وصفية وميمونة فلم يزوج واحدة منهن أبوها.

الفصل الرابع :إباحة الزواج بأكثر من أربع نسوة.

شرح الله تبارك وتعالى لعباده النكاح لما فيه الفوائد العظيمة والحكم الجسيمة، فمن ذلك: الإبقاء على النوع الإنساني والتحصن من الشيطان، وكسر التوقان ودفع غوائل الشهود، وغض البصر وحفظ الفرج، وترويح النفس وإيناسها بما أباحه الله لتقوى وتنشط على العبادة، ومجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل، والاجتهاد في كسب الحلال، والعناية بتربية الأولاد إلى غير ذلك من الفوائد والحكم والأسرار.

وقد جاءت الأدلة الشرعية مبيحة الجمع بين أربع نسوة ومعرفة على ذلك لآحاد المؤمنين.

قال الله تعالى:(**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانهم**).

قال ابن عباس رضي الله عنهما وجمهور العلماء:(**إن المقام مقام امتنان وإباحة فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره**).

ولما أسلم غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشرة نسوة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:(**اختر منهن أربعا**).

وقال الشافعي رحمه الله:(**دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة**).

قال الإمام الحافظ ابن كثير: وهذا الذي قاله الشافعي مجمع عليه بين العلماء.

فهذا الحكم من خصائصه صلى الله عليه وسلم التي انفرد بها دون غيره من الأمة، ولا خلاق بين العلماء أنه توفي صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة؛ سودة بنت القرشية، وعائشة بنت أبي بكر القرشية، وأم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية، وحفصة بنت عمر القرشية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجورية بنت الحارس المصطلقية، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان القرشية، وصفية بنت حيي النضيرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية.

وأبيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة، وهو ثابت بالإجماع ولأنه لما كان يفضله على العبد يستبيح من النسوة أكثر ما يستبيحه العبد وجب أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يستبيح من النساء أكثر ما يستبيحه الأمة.

وقال بعض العلماء: لا يجوز له الزيادة، لأن الأصل استواؤه صلى الله عليه وسلم وأمته في الأحكام لكن ثبت له جواز الزيادة لظاهر قوله تعالى:(**إنا أحللنا لك أزواجك**).[١]

وادعى من قال بانحصار الحل في التسع، أن قوله عز وجل: (**لا يحل لك النساء من بعد**)[٢] ناسخ لحل الزيادة، فحرم عليه أن يتزوج عليهن، لكونهن اخترنه، وحرم عليهن يتزوجن بغيره.

ودليل الجواز:ما في البخاري،[١] عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن أنس، **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهن إحدى**

---

[١].سورة الأحزاب:٥٠

[٢]. سورة الأحزاب:٥٢

عشرة، قلت لأنس: هل كان يطيق ذلك؟ قال : كنا نتحدث أنه كان أعطي قوة ثلاثين، وفي رواية أخرى: **أربعين**.
ثم رواه البخاري من حديث سعيد، عن قتادة: وعنده تسع، وروى الحافظ ضياء الدين كم حديث أنس: تزوج صلى الله عليه وسلم خمس عشرة امرأة، ودخل منهن بثلاث عشرة، واجتمع عنده إحدى عشرة ومات عن تسع.
ذكر الفضاعي في كتابه (**عيون المعارف**) هذه الخصيصة وهي أنه أبيح له عليه الصلاة والسلام أكثر من أربع نسوة فيما خص به دون الأنبياء من قبله وهو غريب منه وقد أسلفت لك ما يخالفه.
إن الناس حسدوا في نكاح تسع نسوة، وقالوا: هلا شغلته النبوة عن النساء فأكذبهم الله تعالى، وخير شاهد على ذلك قوله تعالى عز وجل (**أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله**)،[٢] وأن المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم حسدوه في نكاح تسع نسوة.
وقال: كان لسليمان الملك العظيم ولم يشغله عن النبوة وكان له ألف حرة ومملوكة، وكان لداود عليه السلام تسع وتسعون زوجة حكاه الإمام أبو نصر عبد الرحيم القشيري في تفسيره المسمى بالتيسير في التفسير. وحكى القرطبي في تفسير هذه الآية أنه أحل لنبينا عليه الصلاة والسلام تسعا وتسعين امرأة.
قيل : خص صلى الله عليه بذلك لأنه حبب إليه من الدنيا الطيب والنساء وجعلت قرة عينه في الصلاة،كما رواه النسائي من حديث أنس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**)، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووقع في مطلب ابن الرفعة أنه في الصحيح، والظاهر وهمه.
وفي إسناد الحديث مقال أو صحته في تخريج أحاديث الرافعي، وقال : الماوردي : واختلف أهل العلم في تحبيب النساء إليه على قولين:

- **أحدهما:** أنه زيادة في الابتلاء والتكليف حتى لا يلهو بما حبب إليه من النساء عما كلف به من أداء الرسالة ولا بعجز، عن تحمل أثقال النبوة فيكون تلك أكثر لمشاقه وأعظم لأجرة.
- **الثاني:** ليكون مع من يشاهدها من نسائه فيزيل عنه ما يرميه المشركون من أنه ساحر أو شاعر فيكون تحبيبه لهن على هذا القول للطف به.

وهو الحث لأمته عليه لما فيه من النسل الذي تحصل به المباهاة يوم القيامة.
هو أن قبائل العرب تتشرف به، وقد قيل: إن له بكل قبيلة منها اتصالا بمظاهرة وغيرها سوى تيم وتغلب.
هو كثرة العشائر من جهة نسائه رجالا ونساء فيكونون عونا على أعدائه.

---

[١].البخلري: كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد(٤٩٧).
[٢]. سورة النساء: ٥٤

نقل المحاسن الباطنة فإنه صلى الله عليه وسلم مكمل الظاهر والباطن، وتزوج من القبائل أم حبيبة وأبوها ذلك الوقت عدوه، وصفية وقد قتل أبوها وغيرهما، فلو لم يطلعن من باطن أحواله على أنه أكمل الخلق لكانت الطباع البشرية تقتضي ميلهن إلى آبائهن وقرابتهن، وكان في كثرة النساء عنده بيان لمعجزاته وكماله باطنا كما عرفه الرجل منه ظاهرا صلى الله عليه وسلم.

والحكمة في اسنكثاره صلى الله عليه وسلم من النساء:-

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله الذي تحصل من كلام أهل العلم في الحكمة في استكثاره من النساء عدة أزواجه:-

أحدها : أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فيفتفتي عنده ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غيرذلك.

ثانيها: ليتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم.

ثالثها: الزيادة تآلفهم بذلك.

رابعها: للزيادة في التكليف حيث كلف أن لا يشغله ما حبب إليه منهن عن المبالغة في التبليغ.

خامسها: لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه،

سادسها: نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال، لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله،

سابعها : الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة، فقد تزوج أم حبيبة وأبوها إذ ذاك يعاديه، وصفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها، فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه، بل الذي وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن،

ثامنها: تحصينهن والقيام بحقوقهن.[١]

[١]. فتح الباري (١٧/٩)

الفصل الخامس :- أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين.

شرف الله تبارك وتعالى أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم وخصهن بخصائص ليست لغيرهن من النساء إكراما وإجلالا لعبده رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك أن جعلهن أمهات المؤمنين؛ فقال الله عز وجل :(**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم**)[١]

ومعنى هذه الأمومة: الاحترام والتوفير والإحكام والإعظام واالإجلال والطاعة وتحريم العقوق، ولكن لا يجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع. كما حرم نكاحهن على الرجال قال الله تعالى:(**وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما**)[٢]

وعلى هذا انعقد إجماع العلماء قاطبة أن من توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواحه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين. وذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم التي انفرد بها عن أمته.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه :قوله :(**وأزواجه أمهاتهم**) في معنى دون معنى، وأراد به : أن أزواجه اللاتي مات عنهن لا يحل لأحد نكاحهن، ومن استحل ذلك كان كافرا، لقوله تعالى :(**وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا**)، وقال صلى الله عليه وسلم:(**زوجاتي في الدنيا زوجاتي في الآخرة**)، وقال صلى الله عليه وسلم :(**كل نسب وسبب ينقطع إلا سببي ونسبي فإنه باق إلى يوم القيامة**) و(السبب): القرن والنكاح، ولا يكون حكمهن حكم الأمهات منا لبيان في مذهب الإمام الشافعي.

والنسب في التوارث ولا حكم الأمهات من النسب والرضاع في أنه لا يحل نكاح بناتهن وأخواتهن وأمهاتهن، لأن النبي صلى الله عليه وسلم زوج بناته من المسلمين.

ونقل المزني: وقد زوج رسول الله صلى الله علسه وسلم بناته وهن أخوات المؤمنين، وليس هذا على ظاهره، لأنهن لو كن ولما نقله تأويلان:-

- **أحدهما:** أن الشافعي رحمه الله تعالى أراد : وهن غير أخوات المؤمنين، فأسقط المزني:(غير).
- **الثاني :** أنه أخرجه مخرج الإنكار، وتقدير الكلام: أترى وزج النبي صلى الله عليه وسلم بناته وهن أخوات المؤمنين.

وقيل :لما كانت شفقتهن عليهم كشفقة الأمهات أتزلن منزلة الأمهات، وقد عد القضاعي هذه مما اختص به دون الأنبياء، وقد خولف في ذلك.

---

[١]. سورة الأحزاب :٦

[٢]. سورة الأحزاب: ٥٣

وأزواجه صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين سواء من ماتت تحته أو مات عنها وهي تحته.
وأعلم أن الأمومة ثلاثة أقسام مختلفة الأحكام:

- وهي أمومة الأولاد، ويثبت فيها جميع أحكام الأمومة.
- وأمومة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، لا يثبت إلا تحريم النكاح.
- وأمومة الرضاء، وهي متوسطة بينهما.

فإذا تقرر هذا فهنا أمور قد اختلف فيها، وهي هل يجوز النظر إليهن؛فيه وجهان:-

- أحدها: هن محرم لا يحرم النظر إليهن لتحريم نكاحهن .
- والثاني: إن النظر إليهن محرم لأن تحريم نكاحهن إنما أرادت من دخول رجل عليها أمرت أختها أم كلثوم أن ترضعه ليصير ابن أخيها من الرضاعة فيصير محرما يستبيح النظر.

والمشهور المنع وبه جزم الرافعي، والأدلة على تحريم النظر إليهن كثيرة شهيرة منها قصة عائشة رضي الله عنها في أفلح أخى أبي القعيس جاء يستأذن عليها، وهو عمها من الرضاعة بعد أن نزل الحجاب فأبت أن تأذن له فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي ضعت فأمرني أن أنزله، لم يقل البخاري على، خرجاه من طرق.
وقال الماوردي: يعني من مات عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجه هن كالأمهات في شيئين:

- أحدها: تعظيم حقهن.
- والثاني: تحريم نكاحهن، ولسنا كالأمهات في النفقة والميراث وهل كن أمهات المؤمنين من الرجال دون النساء؟ صححوا المنع وهو قول عائشة.

قوله عز وجل :(**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم**) أي: أنهن بمنزلة الأم في التحريم، فلا يجوز لأحد أن يتزوج بهن احتراما للنبي صلى الله عليه وسلم ومنزلات في حرمة زواجهن واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك. كالأجنبيات ولذلك قالت: عائشة رضي الله عنها: لسنا أمهات في الحرمة والاحترام، أي في تحريم زواجهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم والاستحقاق التعظيم والتوقير، وأما في غير ذلك فهن أجنبيات، فلا يقال لبناتهم أخوات المؤمنين ولا يحرمن على المؤمنين، ولا يحل النظر إليهن ولا خلوة بهن ولا إرثهن ونحو ذلك.
هذا بالنسبة إلى الرجال فهن كأمهات، وأما النساء فلا يقال لهن عند البعض: أمهات المؤمنين لذا قالت عائشة رضي الله عنها لمن قالت لها :يا أمه :أنا أم رجالكم لا أم نسائكم.
ويثبت هذا الوصف لجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى المطلقة لكن صحح إمام الحرمين وغيره قصر التحريم على المدخول بها فقط، واختار الرازي والغرالي القطع بحل المرأة التي اختارت الدنيا من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول أية التخيير.

جعلت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين في وجوب التعظيم والبر والاجلال وحرمة النكاح على الرجال وتحريم النظر إليهن وحجبهن عن الرجال بخلاف الأمهات وهذه الأمومة لا توجب ميراثا كأمومة النبي، وجاز تزويج بناتهن ولا يجعلن أخوات للناس ولا أخوالهن أخوال المؤمنين وخالاتهم، فقد تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر الصديق وهي أخت عائشة أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين. ولا يقال لمعاوية وأمثاله خال المؤمنين وهن غير أمهات المؤمنين الرجال خاصة أمهات الرجال والنساء.

عن عائشة رضي الله عنها قالت لها: يا أمه فقالت لها:لست لك بأم، إنما أنا أم رجالكم قال ابن العربي وهو الصحيح، وقال ابن كثير: هذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رحمه الله.

قال الإمام القرطبي: لا فائدة في اختصاص الحصر في الإباحة للؤجال دون النساء والذي يظهر لي أنهن أمهات الرجال والنساء، تغظيم لحقهن على الرجال والنساء يدل عليه صدر الأية:(**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**) وهذا يشمل الرجال والنساء ضرورة فيكون قوله:(**وأزواجه أمهاتهم**) عائدا إلى الجميع.

إن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ليس لهن شبيه في جماعة النساء في الفضل والمنزلة والشرف والكرامة لكونهن أمهات جميع المؤمنين وزوجات خير المرسلين ونزول القرآن في بيتهن وفي حقهن، وهذا التعبير كقولهم: ليس خلاف كأحد النساء ومعناه أن فيه وصفا أخص مزية وفضلية لا توجد في غيره، ونساء النبي صلى الله عليه وسلم الفائل في الحديث المتفق عليه لست كأحدهم.

وقد نقل ابن القيم في زاد المعاد عن أبي عبيدة أنه قال كان له أربع: مارية وهي أم ولده إبراهيم، وريحانة، وجارية أخرىجميلة أصحابها في بعض السبي، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش، فهل هؤلاء يطلق عليهن أمهات المؤمنين أم أن الإطلاق خاص بأزواجه صلى الله عليه وسلم؟ **والجواب**: أن هذا خاص بأزواجه صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر القرآن، ولم يرد ما يدل على مشروعية إطلاقه على سراري النبي صلى الله عليه وسلم بل ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصطفى صفية بنت حيي قال الصحابة: إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين وإلا فهي مما ملكت يمينه.

قال شيخ الإسلام: وقد ذكر هذا الحديث: دليل على أن أمومة المؤمنين لأزواجه دون سراريه، والقرن ما يدل إلا على ذلك؛ لأنه قال:(**وأزواجه أمهاتهم**).

ومن خطبها صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج ، ومن وهبت نفسها له يتزوجها، وهن نحو أربع أو خمس نسوة كالجونية التي بعث إليها ليتزوجها، فدخل عليها ليخطبها فاستعاذت منه فأعاذها ولم يتزوجها، وكذلك الكلبية، وكذلك التي رأى بكشحها بياضا فلم يدخل بها، والتي وهبت نفسها له فزوجها غيره على سور من القرآن، فهل هؤلاء أيضا يوصفن بأنهن أمهات المؤمنين.

يقول ابن القيم رحمه الله: فمن فارقها في حياتها ولم يدخل بها لا يثبت بها أحكام وزجاتها اللاتي دخل بهن وما عنهن صلى الله عليه وسلم وعلى أزواجه وذريته وسلم تسليما، وبهذا يعلم جواب هذه المسألة.

وقد اهتم علماء السلف رحمهم الله بعقيدة أهل السنة في أهل بيت النبوة اهتماما كبيرا وجعلوها من أهم المسائل في كتب العقيدة وغيرها، وأفردها بعضهم بالتأليف في كتب ورسائل مستقلة، وبينوا فيها أن أهل السنة يحبون آل البيت ويجلونهم كما أمرهم الله ورسوله دون تفريط وإفراط وغلو.

ويعتقد أهل السنة بأن الزوجات النبي من أهل بيته ويستدلون بقوله:**(يا نساء النبي لستن كأحده من النساء إن اتقين)** إلى قوله:**(إنما يريد ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)** ويقول الإمام البيهقي رحمه الله : في بيان معنى هذه الأية : وإنما ورد بلفظ الذكور لإدخال غيرهن معهن في ذلك، ثم أضاف البيوت إليهن بقوله:**(واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة.وجعلهن أمهات المؤمنين** فقال:**(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)** وحرم نكاحهن بعد وفاة نبيه، فقال:**(وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا.**

لم تسلم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعا من طعن الشيعة الرافضة ومن تنقصهم وعيبهم، فقد استحوذ الشيطان عليهم وتمكن منهن وحملهم على أن قالوا فيهن قولا عظيما، وأكثر ما طعنوا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما يدل على خبث قلوبهم وعلى فساد عقولهم وليكن البدء في هذا المبحث بما يدل على عائشة رضي الله عنها، ثم نذكر ما قالوه من الطعن فيهن عموما.

يقول الله:**(يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن التقين)** أي: ليسهناك من جماعة من النساء مطلق أفضل منكن بشرط التقوى. فإذا ثبتت التقوى في حقهن ثبتت أفضليتهن على نساء العالمين عبر العصور والدهور دون استثناء، وليس ذلك بكثير على نساء أفضل الأنبياء المرسلين والخلق أجمعين على نساء اختارهن ورسوله واخترن الله ورسوله، وأما التقوى فثابتة لنساء النبي صلى الله عليه وسلم بنص الكتاب العظيم، ذلك أنهن اخترن الله رسوله والدار الآخرة على الحياة الدنيا وزينتهن بعد نزول الآيات التخبير وهي :**(يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيات الدنيا وزينتها فتحالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا إن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما)**

فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة وتركن الحياة الدنيا وزينتها ومتاعها، وكان هذا الاختيار صادقا بدليل أنه لم يكن ثمة ما يرغبهن بالبقاء مع النبي ويصبرهن على معناها شظف العيش معه، سوى صدق الإيمان وحقيقة التقوى ولأن هذا الاختيار قائم على التقوى. استحق قبول الله تعالى له فكرمهن بسببه وذلك بقوله:**(لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن)**.

وروى ابن أبي حاتم رحمه الله أنه قال: أمهاتهم في الحرمة لا يحل لمؤمن أن ينكح امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم في حياته إن طلق ولا بعد موته، هي حرام على كل مؤمن مثل حرمة أمه.

قال ابن جرير الطبري: حرمة أزواجه أمهاتهم عليهم في أنهن يحرم عليهم نكاحهن من بعد وفاته كما يحرم عليهم أمهاتهم.

قال قرطبي:في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال رضي الله عنهن بخلاف الأمهات.

قال ابن كثير رحمه الله: في الحرمة والاحترام والإكرام والتوفير والإعظام ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع.

قال محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : بعد أن نقل ابن كثير وما ذكرهن أن المردد بكون أزواجه صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين هو حرمتهن كحرمة الأم واحترامهم لهن كاحترام الأم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد أجمع المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء بعد موته على غيره وعلى وجوب احترامهن فهن أمهات المؤمنين في المحرمية فلا يجوز لغيره أقاربهن الخلوة بهن كما يخلو الرجل ويسافر بذوات محارم ولهذا لأمرن بالحجاب.

الباب الخامس: الخصوصيات المتعلقة بشرف النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الأول:الشرف المتعلق بيوم القيامة.

المبحث الأول: الشفاعة يوم القيامة.

يجمع الله عز وجل للأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد وتدنوا منه الشمس فقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة آمرها ويعرق الناس حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعا ويجمعهم ويبلغ آذانهم في يوم مقداره خمسون ألف سنة، قياما على أقدامهم شاخصة أبصارهم لا يعلمون ولا ينظر في أمورهم فإذا بلغ الكرب والجهد منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم، فلم يتعلقوا بنبي إلا دفعهم، قال نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري حتى يفقهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفطلق فيشفع حتى يقضي الله تبارك وتعالى بين الخلق.

فتورد شفاعته صلى الله عليه وسلم ثم تقتصر في ذكر الأدلة على ما اختص به منها دون غيره.

- الشفاعة في استفتاح باب الجنة.
- الشفاعة في تقديم من لا حساب عليهم في دخول الجنة.
- الشفاعة فيمن استحق النار من الموحدين أن لا يدخلها .
- الشفاعة في إخراج عصاة الموحدين من النار.
- الشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة.
- الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.

الشفاعة في استفتاح باب الجنة.

يفتقل الناس في عرصات القيامة من كرب إلى كرب فأهوال قبل فصل القضاء فشفاعة عظمى ثم يحاسب الناس، وعند ذلك ينصب الميزان، وتطاير الصحف ويكون التمييز بين المؤمنين والمنافقين ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم.

فإذا انتهى ذلك كله يقوم الؤمنون وتقرب لهم في استفتاح باب الجنة، فيأتون آدم فإبراهيم فموسى فعيسى عليهم السلام وكل منهم بعتذر عن هذا المقام العظيم، فيأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم إلى الله تبارك وتعالى.

الأحاديث التالية خير شاهد على ذلك.

- فعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما،قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول: فهل أخرجنكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ! لست بصاحب ذلك . اذهبوا إلى بني إبراهيم خليل الله. قال: فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذلك. إنما كفت خليلا من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الله عليه وسلم الذي كلمه الله تكليما. فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقول :لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه. فيقول عيسى عليه السلام: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم، فيقوم فيؤذن له. وترسل الأمانة والرحم فقومان جنتي الصراط يمينا وشمالا. فيمدأ لكم كالبرق؟ قال : قلت : بأبي أنت وأمي ! أي شيئ كمر البرق؟ قال :" ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟.....إلى آخره[١]
- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لهم، وقال : إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الإذن فبينهم كذلك،استغاثوا بآدم ثم بموسى، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ لحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمدا يحمده أهل الجمع كلهم.[٢]

قضي هذا الحديث الجمع بين ذكر الشفاعتين الأولى في فصل القضاء والثانية في استفتاح باب الجنة وسمي ذلك كله "مقام المحمود"

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أ في باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول : محمد، فيقول: بلا أمرت لا أفتح لأحد قبلك.[٣]

شفاعته في تقديم من لا حساب عليهم في دخول الجنة.

---

[١]. رواه مسلم برقم (١٩٥)
[٢]. صحيح البخاري (١٤٧٤)
[٣]. رواه مسلم برقم (١٩٧)

مما اختص به رسولنا صلى الله عليه من الشفاعات أنه يشفع في تعجيل دخول الجنة لمن لا حساب عليهم من أمته وهذا من عظيم قدره صلى الله عليه وسلم ورفعة منزلته عند ربه تبارك وتعالى.

وقد جاءت الأحاديث النبوية تنص على هذه الشفاعة.

- ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في الشفاعة :يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب"[١]
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" سألت ربي عز وجل فوعد في أن يدخل من أمتي سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر، فاستذرت فزادني مع كل ألف سبعين ألفا، فقلت أي رب، إن لم يكن هؤلاء مهاجري أمتي: قال: إذن أكملهم لك من الأراب"[٢]
- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا بخير حساب، فقال يزيد بن الأخفس السلمي: والله ما أولئك إلا كالذباب الأصهب في الذباب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان ربي عز وجل قد وعدني سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا وزادني ثلاث حثيات...."[٣]

شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.

كان أبو طالب يحوط ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصره ويقوم في صفة ويبالغ في إكرامه والذب عنه، ويحبه حبا شديدا طبعيا لا شرعيا، فلما حصرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والدخول في الإسلام، فسبق القدر فيه فاستمر على ما كان عليه من الكفر والله الحكمة البالغة ونظر لما قام به من أعمال جليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جوز لي على ذلك بتخفيف العذاب خصوصية له من عموم الكفر الذين لا تنفعهم شفاعة الشافين. وذلك إكرما وطيبا لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ ابن حجر ما معناه: الشفاعة لأبي طالب معدودة في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[١]. صحيح البخاري برقم (٤٧١٢), ومسلم برقم (١٩٤)

[٢].صحيح البخاري برقم (١٤٢٥)

[٣].صحيح مسلم برقم (٩٢٥)

وقد وردت الأحاديث تنص على هذه الشفاعة:

- فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال :"نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"[١]
- وعنه رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفحه ذلك؟ قال :" نعم وجدت في عمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح"[٢]
- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه"[٣]

المبحث الثاني: أول من يجتاز الصراط ويدخل الجنة.

الصراط جسد ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر، فمن استقام في هذه الدنيا على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة، ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بأوزار وعصى تعثر على الصراط وتردى.

وإن مما أكوم الله تعالى به هذه الأمة ونبيها صلى الله عليه وسلم أن جعلهم أول من يجتاز ويعبر الصراط، وأول من يدخل الجنة دار السلام.

وقد جاءت الأحاديث النبوية تنص على هذه الخصوصية.

- عن أبي هريرة، قال: قال أناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب» قالوا: لا يا رسول الله، قال: " فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد

---

١. رواه مسلم برقم (٢٠٩)
٢. رواه مسلم برقم (٢١٠)
٣. رواه مسلم برقم (٢١٢)

القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب جسر جهنم " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فأكون أول من يجيز.....[١]

- عن أبي هريرة رضي اللله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم. فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه.....)[٢]

وفي رواية قال عيله الصلاة والسلام "يضرب جسر جهنم فأكون أول من يجيز)

قوله :"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز"

في رواية شعيب "يجوز بأمته" وفي رواية إبراهيم ابن سعد "يجيزها" والضمير لجهنم ، قال الأصمعي : جاز الوادي مشى فيه وأجازه قطعه ، وقال غيره : جاز وأجاز لمعنى واحد

وقال النووي رحمه الله : المعنى أكون أنا وأمتي أول من يمر على الصراط ويقطعه ، يقول جاز الوادي وأجازه إذا قطعه وخلفه

وقال القرطبي : يحتمل أن تكون الهمزة هنا للتعدية لأنه لما كان هو وأمته أول من يجوز على الصراط لزم تأخير غيرهم عنهم حتى يجوز ، فإذا جاز هو وأمته فكأنه أجاز يبقية الناس.

ووقع في عبد الله ابن سلام عند الحاكم "ثم ينادي منادى أين محمد وأمته؟ فيقوم فتتبعه أمته برها وفاجرها فيخذن الجسر فيطمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون من يمين وشمال وينجو النبي والصالحون"

وفي حديث ابن عباس يرفعه " نحن آخر الأمم وأول من يحاس" وفيه : فتفرح لنا الأمم عن طريقنا فنمر غرا محجلين من آثار الطهور فتقول الأمم كادت هذه الأمة أن يكونوا أنبياء"[٣]

---

[١] صحيح البخاري : (٨٧٦)
[٢] صحيح البخاري (٢٥٧٣)
[٣] فتح الباري ص (٧٥٢)

المبحث الثالث : حوض الكوثر

قال الله تعالى : " إنا أعطيناك الكوثر"[١]
وعندما أنزلت عليه هذه السورة قال لأصحابه إن الكوثر نهر في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمته يوم القيامة آنيته عدد النجوم في السماء
قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك يقول
يقول : أغفى النبي صلى الله عليه وسلم إغفاءة ، فرفع رأسه متبسما ، إماقال لهم ، وإما قالوا له : لم ضحكت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه أنزلت علي آنفا سورة»،فقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم {إناأعطيناك الكوثر} " حتى ختمها قال: «هل تدرون ماالكوثر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: " هو نهر أعطانيه ربي عزوجل في الجنة ،عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد الكواكب ، يختلج العبد منهم فأقول : يارب ، إنه من أمتي فيقال لي : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك "[٢]
وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أنس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد،عن ثابت،عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أعطيت الكوثر،فإذا هو نهر يجر بكذاعلى وجه الأرض،حافتاه قباب اللؤلؤ،ليس مشقوقا، فضربت بيدي إلىتربته،فإذا مسكة ذفرة،وإذا حصاه اللؤلؤ"[٣]
وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا محمد بن أبي عدي،عن حميد،عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دخلت الجنة، فإذ أنا بنهرحافتاه خياما للؤلؤ،فضربت بيدي إلى مايجري فيه الماء،فإذامسك أذفر،قلت ماهذا ياجبريل؟ " قال: هذاالكوثرالذي أعطاكه الله عزوجل[٤]
وقال ابن جرير : حدثنا الربيع، قال: أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك، يحدثنا، قال: " لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم، مضى به جبريل في السماء الدنيا، فإذا هو بنهر، عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فذهب يشم ترابه، فإذا هو مسك، فقال: «يا جبريل، ما هذا النهر؟» قال: هو الكوثر الذي خبأ لك ربك "[٥]

---

[١] سورة الكوثر : ١
[٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٠٣/٣)
[٣] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٤٧/٣)
[٤] أخرجه الأمام أحمد في مسنده (١٠٣/٣)
[٥] أخرجه الطبري يسنده ومتنه

وقال سعيد، عن قتادة، عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " بينما أنا أسير في الجنة، إذ عرض لي نهر، حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقال الملك الذي معه: أتدري ما هذا؟ هذا الكوثر الذي أعطاك الله إياه، وضرب بيده إلى أرضه، فأخرج من طينه المسك "[١]

واختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أعطيه المبي صلى الله عليه وسلم على أقوال :

الأول : أنه نهر في الجنة. رواه البخاري عن انس وروى الترمذي أيضا عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج»[٢] هذا حديث حسن صحيح

الثاني : أنه حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف ، قاله عطاء وفي صحيح مسلم عن أنس قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أغفى إغفاءة تقدم ذكر الحديث

الثالث : أن الكوثر النبوة والكتا

الرابع : أن الكوثر القرآن . قاله الحسن رواياتهم ما يشعر بمعرفتهم

الخامس : الإسلام حكاه المغيرة

السادس : هو كثرة الأصحاب والأمة والأشياع ، قاله أبو بكر بن عياش ويمان بن رعاب

قلت : أصح هذه الأقوال الأول والثاني ، لأنه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نص في الكوثر. وسمع أنس قوما يتذاكرون الحوض فقال : ما كنت أرى أن أعيش حتى أرى أمثالكم يتمادون في الحوض ، ما تصلى امرأة منهن إلا سألت الله أن يسقيها من حوض النبي صلى الله عليه وسلم[٣]

وجميع ما قيل بعد ذلك قد أعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة على حوضه صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا.

وقد حمل بعض السلف لفظ الكوثر على عمومه ، وحمله بعضهم على النهر الذي وعده الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الجنة. والحمل على العموم لا يعارض حمله على نهر الكوثر لأن نهر الكوثر يكون مثالا وجزءا للخير الكثير الذي أعطاه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإليك أقوالهم في تفسير الكوثر.

الأول : نهر في الجنة ، وهو قول ابن عمر من طريق محارب ابن دثار ، وعائشة من طريق أبي عبيد وابن أبي نجيح ، وابن عباس من طريق العوفي ، ومجاهد من طريق ابنه عبد الوهاب وأبي عالية من طريق الربيع. وهذا هو الذي وردت فيها الأحاديث

---

[١] أخرجه االطبري عن يشر بن سعيد

[٢] رواه الترمذي الحديث : (٣٣٦١)

[٣] المجتمع لأحكام القرآن ص(١٩٢)

الثاني : الكوثر الشيء الكثير ، وهو خير الكثير الذي أعطاه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ورد ذلك عن سعيد ابن جبير من طريق أبي بشر وعطاء بن سائب وهلال ، وعكرمة من طريق أمارة بن أبي حفصة ومجاهد من طريق ابن أبي النجيح. وقد ورد في ب . قاله عكرمة

لقول الكوثر النهر ، ولكنهم حملوا على العموم فعن أبي بشر قال : "قلت لسعيد إن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة" فقال سعيد : "النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه"[١]

المبحث الرابع : فضله الله تعالى بدرجة الوسيلة والفضيلة يوم القيامة.

والوسيلة أعلى درجة في الجنة. والفضيلة المرتبة الزائدة على سائر الخلق.

قال الإمام عبد الله بن حميد : " الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا عبد واحد من عباد الله. وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم".

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :"الوسيلة " علم على أعلى منزلة في الجنة وهي نزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :" الفضيلة " أي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسير الوسيلة.

ومما يؤيد هذه الخصوصية :

١. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ "[٢].
٢. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»[٣].
٣. أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْوَسِيلَةُ دَرَجَةٌ عِنْدَ اللهِ لَيْسَ فَوْقَهَا دَرَجَةٌ، فَسَلُوا اللهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي الْوَسِيلَةَ "[٤].

---

[١]. تفسير جزء عم ناصر الطياد ص (٢٤٧)
[٢].صحيح البخاري ٦١٤
[٣].صحيح مسلم ٣٨٤
[٤].مسند أحمد (٨٣/٣) وصححه الألباني

٤. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، لَا يَسْأَلُ اللَّهَ لِي مُؤْمِنٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١].

٥. وعن عبادة بن صامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله رفعني يوم القيامة في أعلى غرفة من جنات النعيم ليس فوقي إلا حملة العرش.[٢]

الحديث الأول :

قوله صلى الله عليه وسلم : "الوسيلة " هي ما يقترب به إلى الكبير يقال : توسلت أبي تقربت فتطلق على المنزلة العلية ، ووقع ذلك في حديث عبد الله عمرو عند مسلم بلفظ فإنها منزلة في الجنةلا تنبغي إلا لعبد من عباد الله..... " ونحوه

للبزار عن أبي هريرة ويمكن ردها كالقربة التي يتوسل

الحديث الثاني -:

قوله صلى الله عليه وسلم " سلوا الله لي الوسيلة " قال القاضي : فسرها في الحديث لأنها منزلة في الجنة . قال أهل اللغة : الوسيلة : المنزلة عند الملك ، وهي مشتقة من القرب ، توسل الرجل للرجل بكذا إذا تقرب إليه ، وتوسل إلى ربه بطاعته تقرب إليه بها .

قوله : " سلوا الله لي الوسيلة " آت محمد الوسيلة قال في النهاية الوسيلة في الأصل : ما يتوصل به إلى الشيئ ويتقرب به ، وجمعها : وسائل.

والمراد في الحديث : القرب من الله تعالى ، وقيل : هي الشفاعة يوم القيامة ، وقيل : هي منزلة من منازل الجنة.

قال الطيبي : وإنما طلب عليه السلام من أمته الدعاء له بطلب الوسيلة ، افتقار إلى الله تعالى ، وهضمتها لنفسه ، أو لينفع أمته ، ويثاب به ، أو يكون إرشادا لهم في أن يطلب كل منهم من صاحب الدعاء له ، قالوا : يا رسول الله وما الوسيلة ؟ أي المطلوبة المسؤولة

المبحث الخامس : اختص بأنه صلى الله عليه وسلم أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة.

[١].الطبراني في الأوسط ،مجمع الزوائد (٣٣/١)
[٢].قال السيوطي في الخصائص (٣٩٠/٢)

إن الله تعالى فضل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء والرسول عليهم السلام ، وعلى هذا المنوال أعطى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعضا من الخصوصيات التي يختص بها عن الإنسان . وجعل بعضا منها في الدنيا كما أنه جعل بعضها في الآخرة . ومن خصوصيات الآخرة التي يعطيها الله يوم القيامة أن صلى الله عليه وسلم هو أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة.

وقد جاءت الأحاديث النبوية تنص على هذه الخصوصيات-:

- حديث الحسين ابن يزيد حدثنا عبد السلام ابن حرب عن يزيد أبي خالد عن المقهال ابن عمرو عبد الله بن الحارث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله علسه وسلم " أنا أول من تنشق عنه الأرض ، فأكسي حلة من حلل الجنة ، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري[١]
- حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا عيد الله بن نافع الصالغ حدثنا عاصم بن عمر العمري عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فمحشرون معي[٢])
- فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ، فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ[٣]
- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: جَاءَ يَهُودِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ لُطِمَ وَجْهُهُ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوِ اكْتَفَى بِصَعْقَةِ الطُّورِ[٤]

قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أنا أول من تنشق عنه الأرض" أي : للبعث . فلا يتقدم أحد عليه يعثا . فهو من خصائصه "فأكسى" بصيغة المتكلم المجهول. أي : فأبعث .فأكسى "ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري " لأي هذه خصوصية شرفي الله بها والخلائق : جمع خلق فيشمل الثقلين والملائكة[٥]

---

[١] رواه الترمذي : ٣٦٢٠
[٢] رواه النرمذي : ٣٧٠١
[٣] رواه مسلم : ٦١٠٣
[٤] رواه مسلم : ٦١٠٥
[٥] تحفة الأحوذي : صـ ٨٠

قوله " مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ" يدل على أنه كان حيا ولم يأت أن موسى رجع إلى الحياة ولا أنه حي كما جاء في عيسى وقد قال صلى الله عليه وسلم :لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق قال القاضي :يحتمل أن هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السموات والأرض . ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم فأفاق لأنه إنما يقال : أفاق من الغشي[١]

أما قوله صلى الله عليه وسلم " فَلَا أَدْرِي فَأَفَاقَ قَبْلِي" فيحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم أنه أول من تنشق عنه الأرض :إن كان هذا اللفظ على ظاهره أو أن نبيا صلى الله عليه وسلم أول شخص تنشق عنه الأرض على الإطلاق.

المبحث السادس : أول من يقرع باب الجنة

شرف الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بعدة أشياء. منها ما فضله بإعطاء الخصوصيات له حيث يتميز بها عن سائر الأنبياء في الدنيا والآخرة ، وأنه صلى الله عليه وسلم هم أول من يقرع باب الجنة كما أنه أول من يدخل الجنة في يوم القيامة. هذه الخصوصية تعظم شرف نبينا محمد صلى لله عليه وسلم عن سائر الأنبياء والرسل.

ومما يؤيد هذه الخصوصية:

١. عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»[٢]
٢. عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك "[٣]
٣. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم أدخلها وحرمت على الأمم حتى يدخلها أمتي"
٤. عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أنا أول من يفتح باب الجنة"
٥. عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"أنا أول من يدق باب الجنة فلم تسمع الأذان أحسن من بين الخلق على تلك المساريع"
٦. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أن امرأة تبادرني أي لتدخل معي أو في أثري ، فأقول لها مالك ومن أنت؟ فتقول أنا امرأة قعدت على أيتام لي.

---

[١] شرح صحيح مسلم : صـ ١٣٠
[٢] . رواه مسلم رقم ٣٣١
[٣] . صحيح مسلم رقم ٣٣٣

ويتضح لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول من يقرع باب الجنة في يوم القيامة. لأن الأحاديث النبوية وردت على تقويم هذه الخصوصية

المبحث السابع : اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتقديم أمته في الحساب يوم القيامة على الرغم من أنهم آخر الأمم

من نعم الله تبارك وتعالى على هذه الأمة أن جعلها الآخرة زمانا ، الأولى منزلة وفضلة ، فهي وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية ، فهي سابقة لهم في الآخرة ، بأنها أول من يحشر وأول من يحاسب وأول من يقضى بينها وأول من يدخل الجنة.

وبهذه الخصوصية صرحت الأحاديث النبوية :

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا، والنصارى بعد غد»[١]
٢. عن حذيفة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة، والسبت، والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق» وفي رواية واصل المقضي بينهم.[٢]
٣. عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية، ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون "[٣]

وأشار ابن حجر العسقلاني في الفتح قوله صلى الله عليه وسلم :" نحن الآخرون السابقون في رواية بن عيينة عن أبي الزناد عند مسلم نحن الآخرون ونحن السابقون أي الآخرون زمانا الأولون منزلة والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة لهم في الآخرة بأنهم أول من يحشر وأول من يحاسب وأول من يقضى بينهم وأول من يدخل الجنة وفي حديث حذيفة عند مسلم نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق وقيل المراد بالسبق هنا إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل وهو يوم الجمعة ويوم الجمعة وإن كان مسبوقا بسبت قبله أو أحد لكن لا يتصور اجتماع الأيام الثلاثة متوالية إلا ويكون يوم الجمعة سابقا وقيل المراد بالسبق أي إلى القبول والطاعة التي حرمها أهل الكتاب فقالوا سمعنا وعصينا والأول أقوى"[٤]

وقال صاحب إكمال المعلم قوله :" نحن الآخرون السابقون يوم القيامة "

---

[١]. رواه البخاري : ٨٧٦
[٢]. مسلم : ٨٥٢
[٣]. رواه ابن ماجه : ٤٢٩٠
[٤]. فتح الباري : ص (٤٣٣)

قيل: الآخرون فى الزمن السابقون بالفضل، وأول من يقضى بينهم يوم القيامة، ويدخل الجنة قبل سائر الأمم، على ما جاء فى صحيح الأحاديث مفسرًا، وذكره مسلم فى بعضها، وقد يجىء على مساق الحديث الأول.[١]

[١]. إكمال المعلم ص ٢٢٥

الفصل الثاني : الشرف المتعلق بالدنيا

المبحث الأول : وجوب محبته وأهل بيته

أما المؤمنون فيجب عليهم أن يحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأهله على أنفسهم وأهلهم وأموالهم. ولهذا شرف الله تعالى أمته بفضائل عديدة. وجعل الله تعالى بعضها في الدنيا وبعضها في الآخرة. ومن فضائلهم في الدنيا حب الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته. وخير شاهد على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ودليله من القرآن

- قوله تعالى : ((قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ))[١]
- قوله تعالى : ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ))

من الأحاديث

- حدثنا يحيى بن سليمان، قال: حدثني ابن وهب، قال: أخبرني حيوة، قال: حدثني أبو عقيل زهرة بن معبد، أنه سمع جده عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر»[٢]
- حدثنا أبو عوانة، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث قال: حدثني عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، أن العباس بن عبد المطلب، دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا وأنا عنده، فقال: «ما أغضبك»؟ قال: يا رسول الله ما لنا ولقريش، إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله»، ثم قال: «يا أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني فإنما عم الرجل صنو أبيه»[٣]

---

[١]. سورة التوبة : ٢٤
[٢]. البخاري : ٦٦٣٢
[٣]. الترمذي : ٣٧٦٧

- حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، قال: حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»[١]
- حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[٢]

قوله صلى الله عليه وسلم "حتى أكون احب إليه" وإن كانت محبة جميع الرسل من الإيمان. لكن الأحبية مختصة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع. قاله الخطابي. وقال النووي فيه تلميح إلى فضيلة الأمارات والمطمئنة فإن من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم راجحا ، ومن رجح جانب الأمارة كان حكمه بالعكس وفي كلام القاضي العياض أن ذلك شرط في صحة الإيمان لأنه حمل المحبة على معنى التعليم والإجلال وتعقيبة صاحب المفهم بأن ذلك ليس مرادا هنا اعتقاد الأعظمية ليس مستلزما للمحبة ، إذ قد يجد الإنسان إغظام شيء مع خلوه من محبته قال: فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك المحبة لم يكمل إيمانه.

وأسباب المحبة الإجلال والإعظام والكمال في الصفات المعنوية والحسن والإشفاق وهي كلها موجودة في حقه عليه الصلاة والسلام فوجبت له المحبة الكاملة

قال القاضي حسين يجب على المرء أن يكون جزعه وحزنه وقلقه على فراق النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا أكثر من حزنه على فراق أبويه كما يجب عليه أن يكون عنده أحب إليه من نفسه وأهله وماله[٣]

ويتضح لنا أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته واجب على كل مسلم. لأتها من خصوصيات هذه الأمة المحمدية. حيث ورد فيه الأحاديث الكثيرة تشير إلى هذه الخصوصية.

المبحث الثاني : تحريم التكني بكنيته ولم يثبت ذلك لأحد من الأنبياء

أدب الله عزوجل عباده اللمؤمنين في مخاطبة نبيه صلى الله عليه وسلم والكلام معه تشريفا وتعظيما وتقديرا له فأمرهم ألا يخاطبوه باسمه وكنيته بل يخاطبوه يارسول الله يانبي الله وإذا كان الله تبارك وتعالى خاطبه في كتابه العزيز بالنبوة والرسالة ولم يناده باسمه وكنيته زيادة في التشريف والتكريم. واختص رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك بخلاف سائر الأنبياء والمرسلين فإن أممهم كانت تخاطبهم بأسمائهم.

---

[١]. البخاري : ١٤
[٢]. البخاري : ١٥
[٣]. غاية السول في خصائص الرسول : ١٧٦

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير : كانوا يقولون يا محمد ، يا أبا القاسم فنهاهم الله عزوجل عن ذلك إعظاما لنبيه صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يقولوا : يا نبي الله يا رسول الله[١]

وقال قتادة في تفسير آية " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا....." أمر الله تعالى أن يهاب بنبيه صلى الله عليه وسلم وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود بخلاف ما خاطبت به الأمم السابقة أنبياءها فقال تعالى حكاية عنهم :

❁ "قالوا ياموسى ادع لنا ربك ....."[٢]

❁ "قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة....."[٣]

❁ وإذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ....."[٤]

وبهذه الخصوصية صرحت الأحاديث النبوية :

١. عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "تسموا باسمي ولا تكونوا بكنيتي"[٥]

٢. عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم، فقالت الأنصار: لا نكنيك أبا القاسم، ولا ننعمك عينا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أحسنت الأنصار، سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي، فإنما أنا قاسم»[٦]

٣. عن أنس، قال: نادى رجل رجلا بالبقيع يا أبا القاسم فالتفت إليه رسول الله فقال يا رسول الله، إني لم أعنك إنما دعوت فلانا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي "[٧]

اختلف في التكني بأبي القاسم على ثلاثة أوجه :

الأول : المنع مطلقا سواء كان اسمه محمدا أم لا. ثبت ذلك عن الشافعي

الثاني : الجواز مطلقا. فيختص النهي بحياته صلى الله عليه وسلم

الثالث : لا يجوز لمن اسمه محمد ويجوز لغيره

قال الرافعي يشبه أن يكون هذا هو الأصح لأن الناس لم يزالوا يفعلونه في جميع الأعصار من غير إنكار قال النووي هذا مخالف لظاهر الحديث وأما إطباق الناس عليه ففيه تقوية للمذهب الثاني وكأن مستندهم ما وقع في حديث أنس المشار إليه قبل أنه صلى الله عليه وسلم كان في السوق فسمع رجلا يقول يا أبا القاسم فالتفت إليه فقال لم أعنك فقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال ففهموا من النهي الاختصاص بحياته للسبب المذكور وقد زال بعده صلى الله عليه وسلم[٨]

---

[١]. تفسير ابن كثير : ٣١٦/٢ غاية السول في خصائص الرسول : ١٧٦
[٢]. الأعراف : ١٢٤
[٣]. الأعراف : ١٣٨
[٤]. المائدة : ١١٢
[٥]. البخاري : ٢١٨٨
[٦]. البخاري : ٢١٨٧
[٧]. مسلم : ٢١٣١
[٨]. فتح الباري : ص: ٢١٣١

قال الإمام: قوله صلى الله عليه وسلم: " سموا باسمى، ولا تكنوا بكنيتى، فإنما بعثت قاسما أقسم بينكم ": ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن هذا مقصور على حياة النبى صلى الله عليه وسلم؛ لأنه قد ذكر سبب الحديث: أن رجلا نادى: يا أبا القاسم، فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: لم أعنك، إنما دعوت فلانا. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: " تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى "[١]

المبحث الثالث : اختصاص أمته بأنهم شهداء في الأرض

فضل الله تعالى هذه الأمة ورفع ذكرها وزكاها بأن أضافها إليه إضافة تشريف وتكريم ، فقبل منها قولها وشهادتها ، وذلك لعظم مكانتها ومنزلتها عنده

ومما يدل على هذه الخصوصية :

١. عن أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: مروا بجنازة، فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا، فقال: «وجبت» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيرا، فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا، فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»[٢]

٢. عن أبي هريرة قال: مروا بجنازة على النبي صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت»، ثم مروا بجنازة أخرى فأثنوا عليها شرا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت»، قالوا: يا رسول الله، قولك الأولى والأخرى وجبت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض»[٣]

ومن الآثار :

❖ عن كعب رضي الله عنه قال :أعطيت هذه الأمة ثلاث خصال لم يعطها إلا الأنبياء. كان النبي صلى الله عليه وسلم يقال له بلغ ولا حرج وأنت شهيد على قومك وادع يجبك ، وقال لهذه الأمة "وما جعل عليكم في الدين من حرج"[٤] وقال لتكونوا شهداء على الناس وقال ادعوني أستجب لكم

قوله أنتم شهداء الله في الأرض أي المخاطبون بذلك من الصحابة ومن كان على صفتهم من الإيمان وحكى بن التين أن ذلك مخصوص بالصحابة لأنهم كانوا ينطقون بالحكمة بخلاف من بعدهم قال والصواب أن ذلك يختص بالثقات والمتقين

وفي الحديث فضيلة هذه الأمة وإعمال الحكم بالظاهر ونقل الطيبي عن بعض شراح المصابيح قال ليس معنى قوله أنتم شهداء الله في الأرض أن الذي يقولونه في حق شخص يكون كذلك حتى

---

[١]. أكمال المعلم : ٣/٧
[٢]. البخاري : ١٢٦٧
[٣]. النسائي : ٥٠/٤
[٤]. رواه النسائي : ٥٠/٤

يصير من يستحق الجنة من أهل النار بقولهم ولا العكس بل معناه أن الذي أثنوا عليه خيرا رأوه منه كان ذلك علامة كونه من أهل الجنة وبالعكس وتعقبه الطيبي بأن قوله وجبت بعد الثناء حكم عقب وصفا مناسبا فأشعر بالعلية وكذا قوله أنتم شهداء الله في الأرض لأن الإضافة فيه للتشريف لأنهم بمنزلة عالية عند الله فهو كالتزكية للأمة بعد أداء شهادتهم فينبغي أن يكون لها أثر قال وإلى هذا يومئ قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا[١]

قوله المؤمنون شهداء الله في الأرض كذا للأكثر والمؤمنون مبتدأ خبره شهداء وفي رواية المستملي والسرخسي شهادة القوم المؤمنين شهداء الله في الأرض وشهداء على هذا خبر مبتدأ محذوف تقديره هم شهداء وقال السهيلي رواه بعضهم برفع القوم فإن كانت الرواية بتنوين شهادة فهي على إضمار المبتدأ أي هذه شهادة ثم استأنف فقال القوم المؤمنون شهداء الله في الأرض فالقوم مبتدأ والمؤمنون نعت أو بدل وما بعده خبر قال وأكثر ما ورد في الحديث حذف المنعوت لأن الحكم يتعلق بالصفة فلا يحتاج لذكر الموصوف.

ثم حكى وجهين آخرين فيهما تكلف ولم يقع في شيء من الروايات بالتنوين ولا سيما مع رواية من رواه بنصب المؤمنين[٢]

المبحث الرابع : اختصاص أمته بالغر والتحجيل من أثر الوضوء

تأتي الأمة المحمدية يوم القيامة غرا محجلة من آثار الوضوء ، وبهذه الصفة يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتهم من غيرهم حالما يكون منتظرهم على حوضه. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ثبت أن الغرة والتحجيل خاص بالأمة المحمدية.

وقد وردت الأحاديث النبوية تشهد بهذا المعنى :

١. عن نعيم بن عبد الله المجمر، قال: رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء، ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد، ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق "، ثم قال: " هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ. وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله»[٣]

٢. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن حوضي أبعد من أيلة من عدن لهو أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإني لأصد

---

[١]. فتح الباري : ١٣٦٧/٣

[٢]. فتح الباري : ص ٣٠٩

[٣]. رواه البخاري : ١٣٦ ومسلم :٣٤٦

الناس عنه، كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه» قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علي غرا، محجلين من أثر الوضوء»[١]

٣. عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة، فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا» قالوا: أولسنا إخوانك؟ يا رسول الله قال: «أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد» فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ يا رسول الله فقال: «أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: " فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا "[٢]

قوله صلى الله عليه وسلم :"محجلين" واستدل الحليمي بهذا الحديث على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة وفيه نظر لأنه ثبت عند المصنف في قصة سارة رضي الله عنها مع الملك الذي أعطاها هاجر أن سارة لما هم الملك بالدنو منها قامت تتوضأ وتصلي وفي قصة جريج الراهب أيضا أنه قام فتوضأ وصلى ثم كلم الغلام فالظاهر أن الذي اختصت به هذه الأمة هو الغرة والتحجيل لا أصل الوضوء وقد صرح بذلك في رواية لمسلم عن أبي هريرة أيضا مرفوعا قال سيما ليست لأحد غيركم وله من حديث حذيفة نحوه وسيما بكسر المهملة وإسكان الياء الأخيرة أي علامة وقد اعترض بعضهم على الحليمي بحديث هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي وهو حديث ضعيف كما تقدم لا يصح الاحتجاج به لضعفه ولاحتمال أن يكون الوضوء من خصائص الأنبياء دون أممهم إلا هذه الأمة[٣]

قال: الأصيلي وغيره: هذا الحديث يدل أن الوضوء مما اختصت به هذه الأمة ، وعارضه غيره بقوله صلى الله عليه وسلم "هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي" وذهب إلى أن اختصاص الأمة باغرة الوتحجيل لا بالوضوء لهذا الحديث ،وقد ضعف هذا الحديث ، وأيضا قد يحتمل أنه اختصت به الأنبياء دون سائر أممها إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم[٤]

المبحث الخامس : دخول مكة بلا إحرام وإباحة القتال فيها

شرف الله تعالى أم القرى البلد الحرام وفضلها واختارها وخصها بخصائص ومزايا ليست لغيرها من بقاع الدنيا فمن ذلك أن بها بيته العتيق أول بيت وضع للناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به

---

[١]. مسلم : ٢٤٧
[٢]. مسلم : ٢٤٩
[٣]. فتح الباري : ص ٢٩٧
[٤]. إكمال المعلم ص ١٠٢

ويصلون إليه ويعتكفون عنده ومن دخله كلت آمنا. وجعله مثابة للناس يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميعه الأقطار ولا يقضون منه وطرا بل كلما ارادوا له زيادة ازدادوا له اشتياقا.
كم أنفق في حبها من الأموال والأرواح ورضي المحب بمفارقة الأهل والأحباب والأوطان. جعل عهدتها مناسك لعباده فرض عليهم وجعل ذلك من فروض الإسلام وأخبرأنها أم القرى قالقرى كلها لهل وفرع عليها فليس لها في ابقرى عديل, إنها بلد حرام حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فالقتال فيه لا يحل ولا يجوز إلى غير ذلك من خصائصها.
وقد أباح الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة عام الفتح ساعة من نهار فدخلها بغير إحرام يومئذ نحو عشرين فكان ذلك من خصائصها صلى الله عليه وسلم.وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة. ومنها ما ذكر في خطبته ذلك اليوم قال :
"إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب "[١]

وقد جاء الأحاديث النبوية تنص على هذه الخصوصية :

١. عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخل عام الفتح، وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال «اقتلوه»[٢]
٢. عن أبي شريح العدوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الفتح : " إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقولوا له: إن الله أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يأذن لكم[٣]

ودليل ما ذكرناه ما أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام) وعبر القضاعي في عيون المعارف بالحرم بدل مكة وهو المراد هنا وذكر أن ذلك مما خص به دون من قبله من الأنبياء
وذكر ابن الرفعة في الكفاية في أوائل الحج وغيره أن من دخل مكة مقاتلا لباغ أو قاطع طريق أو خائفا من ظالم لا يلزمه الإحرام
واستدل بأنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر ولو كان محرما لم يلبسه وقد كان خائفا من غدر الكفار وعدم قبولهم الصلح الواقع بينه وبين أبي سفيان

---

[١]. البخاري : ١٨٣٢ ومسلم : ١٣٥٤
[٢]. البخاري : ٤٤٨٦ ومسلم : ١٣٥٧ والترمذي : ١٥٥٢
[٣]. البخاري : ٤٢٩٥

وقد علمت أن الاستدلال بذلك ليس بجيد لأجل هذه الخصوصية الواقعة في حقه صلى الله عليه وسلم ثم قوله ولو كان محرما لم يلبسه وقد كان خائفا من غدرهم كلام لا يلتئم
فإن المحرم الخائف يباح له اللبس قطعا وحديث جابر الذي سقناه صريح في الدلالة ثم تعليله ترك الإحرام واللبس بالخوف كيف يلتئم مع قوله تعالى {والله يعصمك من الناس} الآية
القتل في الحرم :فإنه قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة كذا رأيت في التلخيص لابن القاص وتبعه القضاعي وقال إنه خص به من بين سائر الأنبياء.وفي الخصوصية نظر لأن ابن خطل صاحب جرم والحرم لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخربة كما ثبت في الصحيح وقد قيل إن ابن خطل كان قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه مع رجل من الأنصار أمر عليه فلما كان في بعض الطريق وثب على أميره الأنصاري فقتله[١]

المبحث السادس : ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه أعطاه الله قوة ثلاثين رجلا

إن الله سبحانه وتعالى فضل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بهذه الخصوصية كما أنه فضله بخصوصيات مذكورة آنفا في الدنيا . ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أعطي قوة ثلاثين رجلا في الدنيا

ومما يؤيد هذه الخصوصية :

- عن قتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة، من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة» قال: قلت لأنس أوكان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث «أنه أعطي قوة ثلاثين»[٢]
- وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم "كان يطوف على نسائه بغسل واحد"[٣]

قوله: (كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين) كذا جاء هاهنا في (صحيح الإسماعيلي) من حديث أبي يعلى عن أبي موسى عن معاذ (قوة أربعين) وفي (الحلية) لأبي نعيم عن مجاهد (أعطي قوة أربعين رجلا كل رجل من رجال أهل الجنة) . وفي (جامع الترمذي) في صفة الجنة من حديث عمران لقطان عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: (يعطي المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع، قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ فقال: يعطي قوة مائة رجل) ثم قال: حديث غريب صحيح، لا نعرفه من حديث قتادة إلا من حديث عمران القطان، وصحيح ابن حبان حديث أنس أيضا، فإذا ضربنا أربعين في مائة صارت أربعة آلاف،

---

١. غاية السول في خصائص الرسول: ص ١٦٤
٢. البخاري : ٧٥/١
٣. مسلم : ٣٠٩

وذكر ابن العربي أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم القوة الظاهرة على الخلق في الوطء، كما في هذا الحديث، وكان له في الأكل قناعة ليجمع الله له الفضيلتين في الأمور الاعتبارية، كما جمع له الفضيلتين في الأمور الشرعية، حتى يكون حاله كاملا في الدارين.[١]

المبحث السابع : جوامع الكلم

فضل الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء عليهم السلام بأن أعطاه جوامع الكلم. فكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني. أعطاه مفاتيح الكلام وهو ما يسره له من البلاغة والفصاحة ، والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارة والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت عليه. قال العز ابن عبد السلام رحمه الله :" ومن خصائصه أنه بعث بجوامع الكلم واختصر له الحديث اختصارا وفاق العرب في فصاحته وبلاغته"

ومما جاء في السنة دالا على هذه الخاصية :

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون "[٢]

عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه[٣]

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله : فجوامع الكلم التي خص بها النبي صلى الله عليه وسلم نوعان:

أحدهما : ما هو في القرآن كقوله تعالى : إن الله يأمركم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي[٤]

قال الحسن البصري رحمه الله لم تترك هذه الآية خيرا إلا أمرت به ولا شرا إلا نهت عنه

والثاني : ما هو في كلامه صلى الله عليه وسلم وهو منتشر موجود في السنن المأثورة عنه

ومن ذلك قوله :"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"

قال الشافعي رحمه الله :هذا الحديث ثلث العلم ويدخل في سبعين بابا من الفقه

---

[١]. عمدة القاري :و ص ٤١
[٢]. رواه مسلم : ٥٢٣
[٣]. مسند أحمد : ٤٠٨/١
[٤]. سورة النحل :٩٠

قال القاضي عياض رحمه الله :وأما كلام المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها مالا يوازي فصاحة ولا يباري بلاغة

وذكر رحمه الله أمثلة كثيرة من أقوال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك قوله : اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن[١]

وقوله : «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٢]

وقوله : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك[٣] إلى غير ذلك مما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره

تم البحث بعون

الله الملك

الوهاب

[١]. رواه الترمذي : ١٩٨٧

[٢]. رواه مسلم : ٥٥

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

فهذا آخر ما يسر الله تعالى لي من إتمام هذا البحث على أحسن وجه في مدة وجيزة ، وقد ذكرت فيه جميع ما وقفت عليه من الخصائص النبوية التي اختص بها صاحبها عن جميع الأنبياء والرسل ، وكذلك عن جميع أمته التي هي آخر الأمم في العالم.

وفيما يلي أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها خلال هذا البحث.

- ❖ الخصوصية لا تتحقق إلا بدليل صحيح صريح على الخصوصية دون غيره.
- ❖ أن الخصائص لها مكانة عظيمة لتحقيق النبوة.
- ❖ معرفة خصائص النبي صلى الله عليه وسلم التي اختص بها عن أمته والتي اختص بها عن سائر الأنبياء والرسل.

وأخيرا أطلب من كل من يقف على خطأ أو خلل أو زلة قدم أن يصلحه على أحسن وجه.فإن النقص من طبيعة البشر ولا كمال إلا له سبحانه وتعالى.

أسأل الله تعالى أن يقبل هذا العمل مني ويجعله خالصا لوجهه الكريم.

الطالب الفقيرالراجي رحمة ربه
أبرار ابن شاه جهان

كلية ابن عباس العربية
هيرومبور جالي
سريلانكا

فهرس الأعلام

الأسماء	نبذة عنهم
ابن عباس	هو عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب ، حبر هذه الأمة دعا رسول الله صلي الله عليه وسلم بالحكمة والتأويل . توفي سنة ٦٧هـ . (١/٢٨٨) (تهذيب الأسماء واللغات)
ابن عمر	هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي الصحابي ، شهد الخندق وما بعده من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحد المكثرين رواية الحديث توفي سنة ٧٣ ه (تهذيب الأسماء واللغات ١/٢١١)
ابن القيم	هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن زرعي ثم الدمشقي شمس الدين أبو عبد الله بن الجوزية ، تفقه في مذهب الإمام أحمد ولازم ابن تيمية وله كتب كثيرة ، من أشهرها " زاد المعاد " وتوفي رحمه الله ٧٥١ه (البداية والنهاية٨/٢٦)
أبو هريرة	هو عبد الله بن صخر الدوسي ، أسلم عام خيبر وأبوهريرة روى الحديث في دهره وروي عنه أكثر من خمسة آلاف حديثا ، توفي سنة ٥٩ (تهذيب الأسماء واللغات ٢/٥٤٦)
البخاري	هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن أبو عبدالله البخاري ، وكانت ولادته سنة ١٩٤ هـــ ، وبالتحديد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة ،وابتدأ يسمع الأحاديث على المشايخ الذين في بلده ،وقد من الله على البخاري فمنحه ذكاء مفرطا ، وحفظا مدهشا ،واستطاع بذلك مواهبه العلمية ،ويقول أبو بكر بن عياش : كتبنا عن محمد وهو أمرد على باب محمد بن يوسف الفريابي، والإمام المنصفين والمعدلين في كلام الرجال

	، وله مؤلفات كثيرة أشهرها الجامع الصحيح وتوفي رحمه الله يوم السبت غرة شوال ٢٥٦ عن عمر يناهز اثنتين وستين.
مسلم	هو أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري ، مولده – رحمه الله – في السنة التي توفي فيها الإمامان العظيمان ، وهما الشافعي وأبوداود الطيالسي ، وذلك بعد السنة الرابعة بعد المئتين للهجرة ،قال محمد الفراء : كان مسلم من علماء الناس وأوعية العلم ما علمته إلا خيرا طلب العلم من الصغر وأول سماعه كان ببلده نيسابور.وأن مسلما أحد الأعلام أهل الحفظ والإتقان والراحلين في طلب العلم إلى أئمة الأقطار والبلدان وقال الدارقطني : لولا البخاري ما راح مسلم ولا جاء . ووفاته بعد وفات اللبخاري بنحو خمس سنين ويذكر في سبب وفاته أمر عجيب مذكرو في ترجمته، وهو أنه سئل عن حديث أو عن مسألة فمكث طول الليل وهو يقلب ويراجع إلى ان أدركه الفجر. وكان بجانبه مكتل زنبيل فيه تمر وكان يقلب في الصفحات ويراجع ويأخذ من هذه التمر تمرة تمرة فما جاء الفجر قد نفد ما في الزنبيل وجد رحمه الله المسألة التي يبحث عنها ولكن أكله من هذا التمر أضر به من حيث لا يشعر فكان سبب وفاته.
عائشة	هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، أم عبد الله كناها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن أختها ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة و هي بنت ست سنين ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع سنين وتوفي عنها وهي بنت ثمانين عشرة سنة ، و توفيت سنة ٥٧هـ وروى لها ٢٢١٠ حديثا. (الوافي:٣٩٧)
أنس بن مالك	هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النظر خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا حمزة و أمه أم سليم روى ٢٢٨٦ حديثا ، وطال عمره وعاش أكثر من مائة سنة ، وتوفي بالبصرة سنة ٩٣ هـ .(تهذيب الأسماء و اللغات ١٣٦/١)

ناصر الدين الألباني	هو محمد ناصر الدين الألباني ، بدأ الشيخ حياته العلمية في دمشق ، فحفظ القرآن تلاوة و تجويدا ، ومن مشايخه :أبوه نوح رحمه الله ، وسعيد البرهان، وراغب الطباخ . وقد اعتقل الشيخ في سجن القلعة الذي حبس فيه ابن تيمية وابن القيم وهو يلقب بمحدث العصر ، وله تصانيف و تحقيقات عديدة كثيرة ، وتوفي الشيخ يوم السبت من اكتوبر عام ١٩٩٩هـ.
ابن حبان	محمد ابن حبان بن أحمد، أو حاتم البستين التميمي السجستاني ، ولد رحمه الله على التخمين في عشر الثمانين و مائتين لأنه رحمه الله توفي سنة ٣٥٤هـ وله من العمر نحو ثمانين عاما ، ومن مصافاته ابن حبان.
أحمد بن حنبل	أحمد بن حنبل الشيباني ، أبوعبد الله الفقيه المحدث ، وإليه ينسب المذهب الحنبلي ، ولد في بصرة سنة ثمانين وستين ومائة ،وقد جمع علما واسعا بالحديث والرجال ،وقد أثنى على حفظه كثير من الأئمة .يقول أبو زرعة " كان أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين وقد طاف في البلاد والآفاق . وقد كان الإمام الشافعي على جلالة قدره في الحديث والفقه يعمد الإمام عي تصحيح الأحاديث وتضعيفها ولذلك لما اجتمع به في بغداد سنة ١٩٨ هـــ قال له : يا أباعبد الله! إذا صح عندكم الحديث فأعلمني به أذهب إليه حجازيا كان ،أو شاميا ،أو عراقيا ، أو يمنيا ، وعمر أحمد إذ ذاك نيف والثلاثون سنة .وهو ممن امتحن في مسألة خلق القرآن : فأبى كل الإباء فضرب وحبس سنة ٢٢٠ في عهد المعتصم بالله ، وقال علي بن مديني : " مل قام أحد في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل ، وقد توفي رحمه الله سنة ٢٤١ هـــ
أبو حنيفة	هو نعمان بن ثابت بن طاوس أبو حنيفة الفقيه الكوفي ، إليه ينصب المذهب الحنفي كان عالما عاملا زاهدا عابدا ولد سنة٨٠هـ (البداية

	المجتهد
عبد الله بن مسعود	هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي ، سادس ستة في الإسلام ، وشهد مع رسول الله بدرا وأحدا وسائرالمشاهد وشهد له رسول الله بالجنة نزل الكوفة في آخر عمر ، و توفي فيها سنة ٣٢هـ (تهذيب الأسماء و اللغات ٤٠٣/٢)
ابن حزم الظاهري	أبو محمد علي بن أحمد سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري ، ولد سنة ٣٨٤هـ. (المحلى بالآثار ١/٥)
ابن تيمية	الإمام المجدد شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام ، و كان فردا في زمانه رأسا في الفقه و أصوله ، و له يد طولى فى معرفة القراءة و التفسير ، و توفي سنة ١٣٢٨هـ (التفسير الكامل ٢٤/٨)
ابن حجر	شهاب الدين أبو الفضل ، أحمد بن علي بن محمد بن محمد علي ، الكناني ، العسقلاني ، الشافعي ، صاحب أشهر شرح الصحيح الإمام البخاري أصله من عسقلاني بفلستين ، و مولده و وفاته بالقاهرة.
ابن رشد	هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي ، المقلب بابن رشد الحفيد ، ولد بقرطبى سنة ٥٩٥هـ (البداية المجتهد)

أبو الطيب الطبري	وهوالعلامة البارع في علوم الفقه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الطبري ولد سنة ٣٤٨هـ و توفي ٤٥٠هـ.(تهذيب الأسماء و اللغات)
الزيلعي	هو الإمام الفاضل البارع الحافظ المتقن جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن أيوب بن محمد بن أيوب بن موسى الحنفي الزيلعي ، فتفقه وبرع وأدام النظر والإشتغال وطلب الحديث واعتنى به فانتقى وخرج وألف وجمع وسمع عن جماعة من أصحاب النجيب الحراني منهم الشيخ الشهاب أحمد بن محمد بن فتوح ،و الشهاب أحمد بن محمد قيس الأنصلري ، وأيضا أخذ العلم عن لاالشيخ فخر الدين الزيلعي ، ولازم مطالعة كتب الحديث ‘لى أن خرج أحاديث الهداية ،ولأطلق زفرته الأخيرة سنة ٧٦٢ هـــ فدفن بالقاهرة.
ابن الأثير	هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الشيبانيي الجزري ، ولد سنة ٤٤ هـ في جزيرة ابن عمر- بلدة فوق الموصل – وصنف تصانيف مفيدة من أشهرها (جامع الأصول) و (النهاية في غريب الحديث) توفي في الموصل سنة ٦٠٦ هـ
أبو داود	سليمان ابن الأشعث ابن عامر أبو داود السجستاني ولد رحمه الله سنة ٢٠٢ في إقليم "متلخيم "لقد نسأ محبا للعلم من صغره ومن أجل ذلك لازم العلماء وشرب من معينهم ولما بلغ مبلغ الرجال أخذ نفسه بالارتحال فطا في البلاد وسمع من خلق كثير وثناء العلماء عليه غاص في الكتب العلمية وقال الحافظ موسى بن هارون : خلق أبو داود في الدنيا للحديث وفي الاخرة للجنة . واشتهر بملازمة الإمام أحمد بن حنبل ملازمة شديدة حتى أنه يعد من كبار أصحابه وهو الذي وجه إليه عدد من السؤالات سواء في الجرح والتعديل أو في أحكام .

النسائي	هو أبو عبد الرحمن أحمد بن علي شعيب الإمام الجليل الحافظ شيخ الإسلام كان إمام عصره في الحديث بلا نزاع ولد سنة ١٢٥ طلب العلم منذ صغره وأفاد كثيرا جدا فال الذهبي : ولم يكن أحد في رأس الثلاث مائة أحفظ من النسائي وهو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم والترمذي ومن مؤلفاته كتاب السنن وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاث مائة للهجرة من شهر صفر.
الترمذي	هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن يودة الترمذي الحافظ المشهور أحد الأئمة الذين يقتدى بهم فى علم الحديث. ولد سنة ٢٠٩.كان الترمذي يضرب له المثل في الحفظ لقد جمع الترمذي حفظ الحديث و معرفة علله و رجاله مع الثقة و الأمانة و الصلاح حينما بدأ فى طلب العلم حرص على التلقي عن كبار الشيوخ الذين استطاع سمع منهم و لازم البخاري و أطال ملازمته و تاثر به و استئاد منه حتى إنه أصبح تعرف به و نجد كتابه مليئة بالنقل عن البخاري. و توفي رحمه الله سنة ٢٧٩.
البيهقي	هو الإمام العلامة الحافظ المحدث الفقيه الأصولي الزاهد أبو بكى أحمد بن الحسين بن غلي بن الموسى البيهقي،ولد سنة ٣٨٤ هـ وقف حياته كلها في خدمة العلم ، في البحجث و الدراسة و التصنيف و التدريس و رحل في طلب العلم إلى العراق و الحجاز كان أول سماعه للحديث و هو ابن خمسة عشرة سنة ، و قال شيخ الإسلام ابن تيمية :البيهقي أعلم أصحاب الشافعي بالحديث و أنصرهم للشافعي.و توفي رحمه الله سنة ٤٥٨هـ.
القرطبي	هو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الاندلوسي القرطبي المالكي. كان فهما حسن الحفظ وحسن المذاكرة ثقة حافظا. وتوفي بالمدينة أوائل سنة٦٩١ هـــ>>

النووي	هو محي الدين يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي المكنى بأبي زكريا شيخ المذهب كبير الفقهاء . ولد بنوى سنة ٦٣٢ هـ.وله عدة مصنفات منها شرح صحيح مسلم ,والروضة,المنهاج,والأذكار,وتهذيب الأسماء واللغات,وشرح المهذب, لكن انطلق إلى رحمة الله قبل أن يتمه سنة ٦٧٦ هـ.
محمد الأمين الشنقيطي	محمد الأمين بن محمد المختار. عالم ومحقق ومفسر. له العديد من الكتب. ولد في بلاد شنقيط (موريتانيا الآن)، طلب العلم في سن مبكرة فحفظ القرآن ودرس الفقه المالكي، ثم رحل إلى الحج، وآثر البقاء في المملكة العربية السعودية، فدرس على شيوخها وتتلمذ على كثير من علمائها، تولى التدريس في المعاهد العلمية والكليات الشرعية في الرياض والمدينة، وكان ضمن هيئة كبار العلماء وعضوًا في رابطة العالم الإسلامي. ترك عدة كتب أبرزها تفسيره المشهور أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الذي وصل فيه إلى سورة المجادلة، وأتمه فيما بعد تلميذه الشيخ عطية سالم. ويُعد تفسير الشنقيطي متميزًا في بابه، حيث أودعه علومًا نافعة ومسائل محققَة. توفي الشنقيطي بمكة.

المراجع والمصادر

أسماء الكتب	المصنف	الطبعة
معجم الوسيط	المكتبة الإسلامية	الطبعة الثانية
لسان العرب	ابن منظور	الطبعة الأولى
مختار الصحاح	عبد القادر الرازي	الطبعة الأولى
القاموس المحيط	الإمام الشيرازي	الطبعة الثالثة
صحيح البخاري	أبو عبدالله	الطبعة الأولى
فتح الباري	ابن حجر العسقلاني	الطبعة الأولى
عمدة القاري	محمود بن أحمد بن العيني	الطبعة الأولى
صحيح مسلم	أبو الحسين مسلم بن الحجاج	الطبعة الأولى
تفسير الطبري	الإمام ابن جرير	الطبعة الأولى
شرح صحيح مسلم	الإمام النووي	الطبعة التاسعة
إرشاد الساري	أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني	الطبعة الأولى
أبو داود	الإمام أبو داود	الطبعة الأولى
عون المعبود	أبو الطيب محمد شمس آبادي	الطبعة الثانية
مسند أحمد	الإمام أحمد بن محمد الشيباني	الطبعة الثالثة
إكمال المعلم	أبو الفضل عياض بن موسى	الطبعة الأولى
التفسير الكبير	فخر الدين الرازي	
سنن النسائي	الإمام أبو عبد الرحمن	الطبعة الأولى

سنن الترمذي	الإمام محمد بن عيسى	**الطبعة الثانية**
السنن الكبرى	الإمام البيهقي	**الطبعة الأولى**
إرواء الغليل	الإمام الألباني	**الطبعة الثانية**
سنن ابن ماجه	أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني	**الطبعة الأولى**
النهاية	أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير	**الطبعة الثانية**
تحفة الأحوذي	الإمام مبارك فوري	**الطبعة الثالثة**
تفسير مصباح المنير	الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير	**طبعة العلمي**
روضة الطالبين	الإمام النووي	**الطبعة الثالثة**
التاريخ الكبير	الإمام أبو عبد الله	**الطبعة الثانية**
الجامع الكبير	محمد عيسى الترمذي	**الطبعة الأولى**
الخصائص الكبرى	جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي	**الطبعة الثانية**

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث	رقم الصفحة
هل ترون قبلي هاهنا ؟ فوالله ما يخفى علي خشوعكم	٠٩
صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم صلاة ، ثم رقي المنبر	١٠
صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ: «يَا فُلَانُ	١٢
هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَا هُنَا؟ فَوَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ رُكُوعُكُمْ، وَلَا	١٢
صلاة الرجل قاعدا " نصف الصلاة قال : فاتيته فوجدته يصلي جالسا	٢٠
كنت ابيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوءه وحاجته	٢١
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الرجل قاعدا فقال : إن	٢١
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتو الكتابيب من قبلنا	٢٢
خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أهبط وفيه تيب عليه ، وفيه مات	٢٥
إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، ففيه قبض ،وفيه النفخة ،وفيه الصعقة	٢٧
لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، لَأَمَرْتُهُمْ بِتَأْخِيرِ الْعِشَاءِ، وَبِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ	٣٠
لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ	٣٠
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرَ بِالْوُضُوءِ لِكُلِّ صَلَاةٍ، طَاهِرًا وَغَيْرَ طَاهِرٍ، فَلَمَّا شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ	٣٠
أَمَرْتُ بِالسِّوَاكِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَنْزِلُ عَلَيَّ فيه قُرْآنٌ	٣١
«لا تواصلوا» قالوا: إنك تواصل، قال: «لست كأحد منكم	٣٣

لا تواصلوا، فأيكم إذا أراد أن يواصل، فليواصل حتى السحر	٣٣
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن الوصال» قالوا: إنك تواصل	٣٣
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم»، فقالوا:	٣٣
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم» فقال له رجل من المسلمين	٣٣
إياكم والوصال» مرتين قيل: إنك تواصل، قال: «إني أبيت يطعمني	٣٣
أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول	٤١
أنا لا تحل لنا الصدقة	٤١
إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي، ثم أرفعها لآكلها،	٤١
لولا أن تكون من الصدقة، لأكلتها	٤١
مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها ، وأكملها ، وترك	٤٦
إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي." قال : فشق ذلك على الناس	٤٦
مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها ، إلا موضع لبنة ، فجعل الناس	٤٧
مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا فأتمها إلا لبنة واحدة ، فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة.....	٤٧
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي.....	٤٧
إن لي أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر.....	٤٧
قال لي النبي صلى الله عليه وسلم:إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل.....	٤٧

إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي	٤٩
في أمتي كذابون ودجالون سبعة وعشرون ، منهم أربع نسوة ، وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي	٤٩
قولوا خاتم النبيين ، ولا تقولوا : لا نبي بعدي	٤٩
قال رجل عند المغيرة بن أبي شعبة صلى الله على محمد خاتم الأنبياء لا نبي بعده ، فقال المغيرة :	٥٠
قال: نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه	٨٣
لا نكاح إلا بولي	٨٤
لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل	٨٤
زوجكن أهليكن وزوجني الله تعلى من فوق سبع سماوات	٨٤
ما أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة من نسائه أكثر أو أفضل مما أولم على زينب	٨٤
حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة	٨٧
يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة،	٩٥
ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لهم، وقال : إن الشمس تدنو يوم القيامة	٩٥
في باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول	٩٥
يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقول.....	٩٦
سألت ربي عز وجل فوعد في أن يدخل من أمتي سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر، فاستذرت فزادني.....	٩٦

إن الله عز وجل وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا بخير حساب، فقال يزيد بن الأخفس السلمي: والله ما أولئك.....	٩٦
يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال :"نعم هو في ضحضاح من	٩٧
يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفحه ذلك؟ قال :" نعم وجدت في عمرات من النار فأخرجته	٩٧
لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ	٩٧
قال أناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل	٩٧
نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه	٩٨
مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ،	١٠١
إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا	١٠١
الْوَسِيلَةُ دَرَجَةٌ عِنْدَ اللهِ لَيْسَ فَوْقَهَا دَرَجَةٌ، فَسَلُوا اللهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي الْوَسِيلَةَ	١٠١
سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، لَا يَسْأَلُ اللَّهَ لِي مُؤْمِنٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا شَفِيعًا يَوْمَ	١٠٢
إن الله رفعني يوم القيامة في أعلى غرفة نت جنات النعيم ليس فوقي إلا حملة العرش	١٠٢
أنا أول من تنشق عنه الأرض ، فأكسي حلة من حلل الجنة ، ثم أقوم	١٠٣
أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فمحشرون معي).....	١٠٣

لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ	١٠٣
جَاءَ يَهُودِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ لُطِمَ وَجْهُهُ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَلَا	١٠٣
أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة	١٠٤
آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك	١٠٤
إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم أدخلها وحرمت على الأمم حتى يدخلها أمتي	١٠٤
أنا أول من يفتح باب الجنة	١٠٤
أنا أول من يدق باب الجنة فلم تسمع الأذان أحسن من بين الخلق على تلك المساريع	١٠٤
أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أن امرأة تبادرني أي لتدخل معي	١٠٤
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا	١٠٥
أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله.....	١٠٥
نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية، ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون.....	١٠٥
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء	١٠٧
أن العباس بن عبد المطلب، دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا وأنا عنده، فقال: «ما أغضبك»؟	١٠٧
فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده	١٠٧

لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين	١٠٨
تسموا باسمي ولا تكونوا بكنيتي	١٠٩
ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم، فقالت الأنصار لا نكنيك أبا القاسم، ولا ننعمك عينا، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم	١٠٩
نادى رجل رجلا بالبقيع يا أبا القاسم فالتفت إليه رسول الله فقال يا رسول الله، إني لم أعنك إنما دعوت فلانا	١٠٩
مروا بجنازة، فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا، فقال	١١٠
مروا بجنازة على النبي صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت»، ثم مروا بجنازة	١١٠
أعطيت هذه الأمة ثلاث خصال لم يعطها إلا الأنبياء. كان النبي صلى الله عليه وسلم يقال له بلغ ولا حرج وأنت شهيد	١١٠
أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله	١١١
إن حوضي أبعد من أيلة من عدن لهو أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن	١١١
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة، فقال: «السلام عليكم.....	١١٢
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخل عام الفتح، وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل	١١٣
إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله	١١٣

فهرس الآيات

الآيات	السورة	رقم الآية
ومن الليل فتهجد به نافلة	الإسراء	٧٩
ياأيها المزمل	المزمل	٠١
إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى	المزمل	٢٠
ياأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة.....	الجمعة	٠٩
ادخلوا الباب سجدا	البقرة	٥٨
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	الأنبياء	١٠٧
لقد جاءكم رسول من أنفسكم	التوبة	١٢٨
قل ما أسألكم عليه من أجر	الشعراء	١٤٥
خذ من أموالهم صدقة	التوبة	١٠٣
ما كان محمد أبا أحد من رجالكم	الأحزاب	٤٠
وإذ أخذ الله ميثاق النبيين	آل عمران	٨١
شرع لكم من الدين ما وصى به	الشورى	١٣
وكيف تأخذونه وقد أفضى	النساء	٢١
ياأيها النبي إذا طلقتم النساء	الطلاق	٠١
ومن يقل منهم إني إله من دونه	الأنبياء	٢٩
ولو تقول علينا بعض الأقاويل	الحاقة	٤٤

وإذ أخذ الله ميثاق الذين	آل عمران	١٥١
وما أرسلناك إلا كافة للناس.....	السبأ	٢٨
قل يا أيها الناس إني رسول	الأعراف	١٥٨
تبارك الذي نزل الفرقان	الفرقان	٠١
وإذ صرفنا إليك نفرا	الأحقاف	٢٩
إنا فتحنا لك فتحا مبينا	الفتح	٠١
وما أرسلنا من رسول	إبراهيم	٠٤
وأوحي إلي هذا القرآن	الأنعام	١٩
ومن يكفر به من الأحزاب	هود	١٧
قل لئن اجتمعت الإنس والجن	الإسراء	٨٨
إنا نحن نزلنا الذكر	الحجر	٠٩
ولكنا أنشأنا قرونا	القصص	٤٥
قل إنما أنا بشر مثلكم	الكهف	١١٠
نحن نقص عليك أحسن القصص	يوسف	٠٣
وامرأة مؤمنة إن وهبت	الأحزاب	٥٠
إنا أعطيناك الكوثر	الكوثر	٠١

فهرس الموضوعات

الموضوعات	رقم الصفحة
المقدمة	٠١
خطة البحث	٠٣
الباب الأول : خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم.	٠٥
الفصل الأول : معنى خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم.	٠٥
الفصل الثاني : معنى الرسول لغة وشرعا.	٠٦
الفصل الثالث : نبذة عن خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم.	٠٧
الفصل الرابع : بم يثبت ما يختص به النبي صلى الله عليه وسلم وهل هناك مايختص به أم لا ؟	٠٨
الباب الثاني : العبادات	٠٩
الفصل الأول : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ما وراءه.	٠٩
الفصل الثاني : وجوب صلاة الليل :	١٤
الفصل الثالث : تطوع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قاعدا كتطوعه قائما .	٢٠
الفصل الرابع : إختصاص أمته صلى الله عليه وسلم بيوم الجمعة.	٢٢
الفصل الخامس : السواك في حق النبي صلى الله عليه وسلم واجب.	٢٩
الفصل السادس: اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالوصال في الصوم دون غيره من أفراد أمته.	٣٢
الفصل السابع : إختصاصه صلى الله عليه وسلم بتحريم الزكاة عليه وعلى آله.	٣٩
الباب الثالث : النبوة ، وفيه أربعة فصول :-	٤٥
الفصل الأول : ختم النبوة.	٤٥

الفصل الثاني : أخذ الله له العهد والميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه.	٥٢
الفصل الثالث : الرسالة العامة	٥٨
الفصل الرابع : حماية كتابه من التحريف والتبديل وجعله من المعجزات	٦٨
الباب الرابع :المناكحات ، وفيه خمسة فصول	٧٦
الفصل الأول :النكاح بلفظ الهبة.	٧٦
الفصل الثاني :تحريم نكاح أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.	٨٠
الفصل الثالث :إباحة الزواج من غير ولي ولا شهود.	٨٢
الفصل الرابع :إباحة الزواج بأكثر من أربع نسوة.	٨٤
الفصل الخامس :أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين.	٨٧
الباب الخامس: الخصوصيات المتعلقة بشرف النبي صلى الله عليه وسلم.	٩٢
الفصل الأول:الشرف المتعلق بيوم القيامة.	٩٢
المبحث الأول: الشفاعة يوم القيامة.	٩٢
المبحث الثاني: أول من يجتاز الصراط ويدخل الجنة.	٩٥
المبحث الثالث : حوض الكوثر	٩٧
المبحث الرابع : فضله الله تعالى بدرجة الوسيلة والفضيلة يوم القيامة.	٩٩
المبحث الخامس : اختص بأنه صلى الله عليه وسلم أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة.	١٠٠
المبحث السادس : أول من يقرع باب الجنة	١٠٢
المبحث السابع : اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتقديم أمته في الحساب يوم القيامة على الرغم من أنهم آخر الأمم	١٠٣
الفصل الثاني : الشرف المتعلق بالدنيا	١٠٥
المبحث الأول : وجوب محبته وأهل بيته	١٠٥

المبحث الثاني : تحريم التكني بكنيته ولم يثبت ذلك لأحد من الأنبياء	**١٠٦**
المبحث الثالث : اختصاص أمته بأنهم شهداء في الأرض	**١٠٨**
المبحث الرابع : اختصاص أمته بالغرو والتحجل من أثر الوضوء	**١٠٩**
المبحث الخامس : دخول مكة بلا إحرام وإباحة القتال فيها	**١١٠**
المبحث السادس : ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه أعطاه الله قوة ثلاثين رجلا	**١١٢**
المبحث السابع : جوامع الكلم	**١١٣**
خاتمة	**١١٥**
فهرس الأعلام	**١١٦**
المراجع والمصادر	**١٢٣**
فهرس الأحاديث والآثار	**١٢٥**
فهرس الآيات	**١٣١**
فهرس الموضوعات	**١٣٣**

قد تم البحث بعون

الله الملك

الوهاب